صفحة من تاريخ العمل التطوعي في الكويت

الجمعية الخيرية العربية

وبواكير النهضة الحديثة في الكويت

(١٣٣١هـ - ١٩١٣م)

بسم الله الرحمن الرحيم

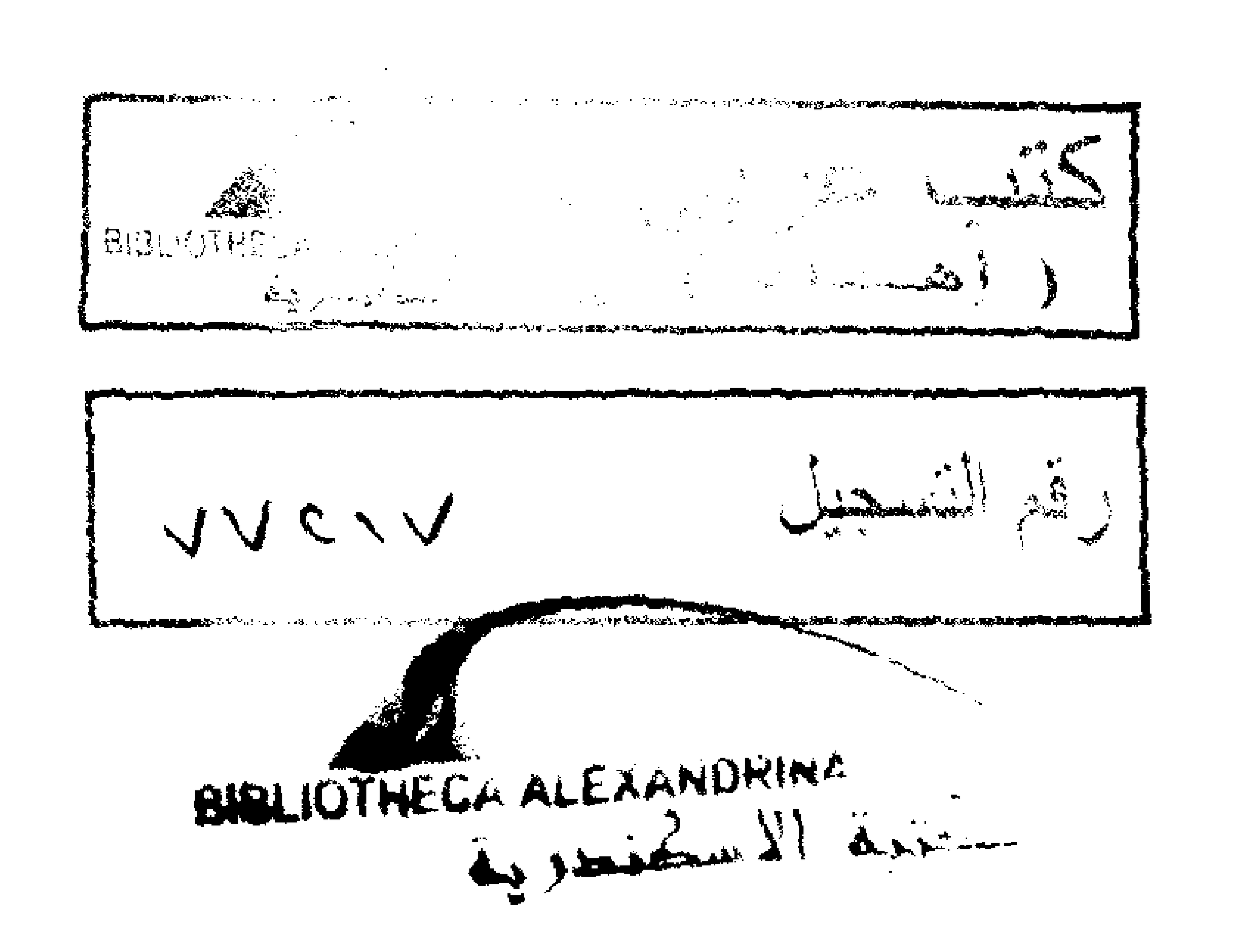
الحمد لله الذي وفق من اراد به خيراً لفعل الخيرات وعمل القربات والصلاة والسلام على سيدنا
محمد المؤيد بالآيات البينات وعلى آله واصحابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات اما بعد فان المقتضي
لكتابة هذه الاحرف هو انه لما كان الوقف من افضل الطاعات واجل القربات وانه من الاعمال
المنجية والصدقة الجارية رغب فيه حضرات الفضلاء الاماجد وهم احمد وفرحان وعلي اولاد المرحوم
بكريم الله فهد الخالد الخضير وسابقوا اليه فوقفوا كلهم جميعاً وحبسوا وسبلوا ما هو ملكهم وتحت تصرفهم
وهي الدار العامرة ارضها وبناؤها وما كان متصلاً بها لمصلحتها وهي قسمان بيت وعمارة بجنب غرفنا
الكائنة في محلة سعد والتي هي احد محلات الكويت المحدودة قبلة الطريق النافذ وشمالاً ساحل البحر
وشرقاً وجنوباً عمارة ابراهيم بن حسن الشطي وبيته وقف كل من اولئك المذكورين هذه الدار المحدودة
المشتملة على القسمين البيت والعمارة على الجمعية الخيرية العربية التي تألفت في الكويت في اوائل هذه
السنة ببركة سعيه المشكور ضوعفت له الاجور على انه تكون مستشفى للمرضى ومحلاً لعيادة الطبيب المسلم
وانه يجلس فيها اعضاؤها وان لم ينتظم امرها لا قدر الله ذلك فقد شرطوا ان الناظر عليها ينصب في احد
قسميها عالماً صالحاً يدرس فيه العلوم النافعة ويؤجر القسم الآخر ويدفع اليه اجرته وان لم ينتظم فيها امر التعليم
بان لم يحصل عالم يرتضى باقامته فيها النفع للدين والدنيا معاً فليؤجرها الناظر جميعاً ويصرف غلتها
الى فقراء الكويت المحاويج العاجزين عن تعاطي الاسباب المعاشية بعد الانفاق عليها ما تحتاجه
من الترميم باقامة المائل واصلاح المنكسر وتعمير الخراب وقد شرط الواقفون النظر لانفسهم وانه
للاسن فالاسن فالنظر اولاً لاحمد ثم لفرحان ثم لعلي وبعدهم يكون النظر للاكبر من اعمامهم اولادهم
خالد ثم الكبير الارشد من اولادهم وذرياتهم وقفاً صحيحاً شرعياً معتبراً مرعياً قد صدر منهم وكل منهم
مختار جائز التصرف راغب في الخير مسارع اليه وحررت هذه الاحرف لئلا يخفى وحسبنا الله وكفى

بتاريخ غرة ذي القعدة ١٣٣١

اشهد على ذلك وانا الفقير عبد الله بن خلف

بدر ناصر المطيري

مركز البحوث والدراسات الكويتية
الكويت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



صفحة من تاريخ العمل التطوعي في الكويت

الجمعية الخيرية العربية

وبواكير النهضة الحديثة في الكويت

(١٣٣١هـ - ١٩١٣م)

مركز البحوث والدراسات الكويتية ص. ب: ٦٥١٣١ المنصورية. (35652) - كويت
فاكس: ٢٥٧٤٠٧٨ - هاتف: ٢٥٧٤٠٨١ /٣
بريد الإنترنت: E-mail: Webmaster @crsk.org
شبكة الإنترنت: Homepage: http:/www. crsk.org

صفحة من تاريخ العمل التطوعي في الكويت

الجمعية الخيرية العربية

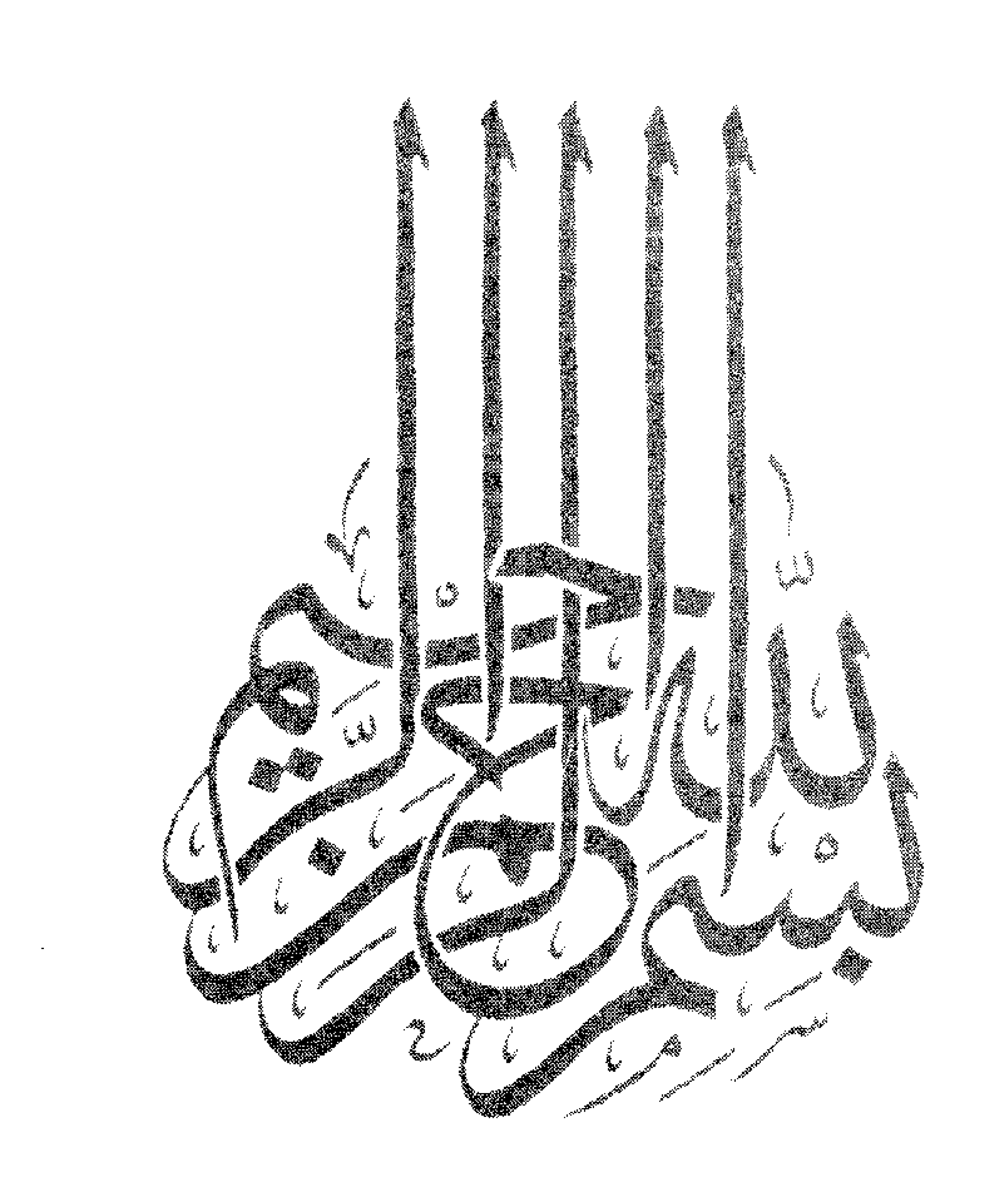
وبواكير النهضة الحديثة في الكويت

(١٣٣١هـ - ١٩١٣م)

بدر ناصر المطيري

مركز البحوث والدراسات الكويتية

الكويت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



تصدير

انطلاقا مما اضطلع به مركز البحوث والدراسات الكويتية من اهتمام بالدراسات التأصيلية ، المتصلة بالنشاطات الحياتية لمجتمع الكويت وتطور هذه النشاطات ، وبخاصة تلك الدراسات العلمية الموثقة التي تقدم الرواد من أبناء الكويت في المجالات العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية إلى الأجيال ، وتسهم في إبراز جهودهم في نهضة الكويت ، يقدم مركز البحوث والدراسات الكويتية هذا الكتاب «الجمعية الخيرية العربية وبواكير النهضة الحديثة في الكويت» ليلقي ضوءا على جانب مهم من جوانب العمل الأهلي التطوعي ، الذي واكب التوجه نحو تطوير الحياة على أرض الكويت قبل عصر النهضة . وليكشف عن أصالة هذا الشعب وحبه الفطري لعمل الخير والإسهام الفاعل في إرساء دعائمه ، والحرص المتواصل على تحمل مسؤولية المشاركة الشعبية في النهوض بالمجتمع الكويتي .

ونأمل أن يكون في إصدار هذا الكتاب ، ما يحفز همم المخلصين من أبناء هذا المجتمع الخير على الإسهام في رحلة العطاء ، التي تجعل الكويت واعدة بمستقبل مأمول على طريق التنمية الشاملة ، والله الموفق .

أ . د . عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

قال الله تعالى في كتابه الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ . (الحج ٧٧) .

﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ . (النساء ١٢٤) .

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾ . (الأنبياء ٩٤) .

* * *

(. . . . ولا يخفى عليكم أن أسلافكم ، رحمهم الله ، مع عدم امتدادهم في الوقت ، عمروا المساجد ، وأوقفوا الأوقاف ، وهذه أعمالهم بين ظهرانيكم تشهد لهم ، وأنتم خلف من سلف ، فلا تكونوا أدنى منهم ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، ومن فضل الله أنْ أفاض عليكم نعمته في زمن أميركم المحبوب ، مبارك الاسم ، ميمون الطالع ، مولانا الشيخ مبارك الصباح ، المشهود له مع أنجاله الكرام بالعدل والإنصاف وحب الخير ومساعدة الوطن والرعية ، أعزهم الله على أعدائهم ووفقهم وهداهم ، فعليكم أيها الإخوان بالتعاون على البر والتقوى ، واعلموا أن هذه أول جمية خيرية في بلدنا لمساعدة إخواننا من الفقراء والمساكين والأيتام . . .) *

فرحان فهد الخالد الخضير

مؤسس ورئيس الجمعية الخيرية العربية

في حفل افتتاح الجمعية ١٣٣١هـ - ١٩١٣م

* المصدر : تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان ، ص ٣٧٣ .

إهداء

نسمة من عبق الأصالة أهديها إلى المجتمع الكويتي بأفراده ومؤسساته الرسمية والأهلية ليستأنف دوره في التقدم والنهضة اعتمادا على الله سبحانه وتعالى ثم على إمكاناته وعزيمته ، مستمدا من تاريخه وبيئته مثلا تحتذى بعيدا عن الوصفات الجاهزة المستوردة .

المؤلف

مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وهادي الإنسانية إلى خيري الدنيا والآخرة .

وبعد :

فيسرني ويشرفني أن أقدم للمجتمع الكويتي وللعاملين في مجال العمل الأهلي هذه المساهمة العلمية المتمثلة في كتاب (الجمعية الخيرية العربية : وبواكير النهضة الحديثة في الكويت) الذي يمثل محاولة للغوص في الذات والبحث في الشخصية الكويتية ، والقراءة الكاشفة في التاريخ الاجتماعي للكويت ؛ فموضوع هذا الكتاب لا يدور حول حدث تاريخي منعزل ، بل يطرح قضية العمل الأهلي التطوعي ودوره في حياة المجتمع ، في سياق التأصيل العلمي والتاريخي له ، هذه القضية التي لها جذور تاريخية وواقع حي ومستقبل مبشر بإذن الله تعالى .

ويتناول هذا الكتاب بالتوثيق والتحليل حقبة مميزة من تاريخ الكويت والمجتمع الكويتي وهي حقبة بواكير النهضة الاجتماعية في العقد الثاني من القرن العشرين . وقد كان تأسيس الجمعية الخيرية

العربية تجسيدا لمرحلة من الحراك الاجتماعي نحو النهوض ، وتعبيرا صادقا عن التطلعات والعزيمة والحيوية التي جبل عليها الكويتيون في الارتقاء بأنفسهم وبمجتمعهم .

ورغم عدم استمرار الجمعية لفترة طويلة فإنها عكست صورة مكثفة لهذا الواقع الاجتماعي ، ويؤدي هذا الكتاب مهمة مزدوجة ؛ فهو بالإضافة إلى كونه يمثل محاولة لاستكشاف صفحة من تاريخ الكويت في بداية نهضته الحديثة ، يقدم أيضا نموذجا في التغيير الاجتماعي المؤسسي الذي يلبي حاجة من حاجات المجتمع .

ولقد دفعني إلى الكتابة عن الجمعية الخيرية العربية التي تأسست عام ١٩١٣م دافعان أو سببان :

أولهما مباشر ـ وهو أنه على الرغم من انقضاء أكثر من ثمانين عاما على تأسيس الجمعية فإنها لم تحظ باهتمام الباحثين الاجتماعيين للتعريف بها وبمؤسسيها وبدورها وبما تمثله من نقلة نوعية متقدمة جدا في الفكر الاجتماعي والممارسة المجتمعية في الكويت في تلك الحقبة التاريخية حتى بمقاييس الواقع الذي نعيشه حاليا ، وقد أدى هذا الإغفال إلى تفويت فرصة الاستفادة من الجيل الذي عاصر الجمعية وعايش ظروفها .

والدافع الآخر أو السبب غير المباشر ، وهو الأعمق والأشمل ؛ هو تسليط الضوء على دراسة التاريخ الاجتماعي للمجتمع الكويتي الذي

قلما حظي بالعناية من منظور الدراسات الاجتماعية المنهجية ؛ حيث اقتصرت المساهمات السابقة فيه بشكل عام على الترجمات لما كتبه الأجانب ، أو العناية بتراجم بعض الشخصيات الكويتية من أمثال مؤسس الجمعية فرحان فهد الخالد والشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ عبد الله الخلف الدحيان والشيخ عبد الله مبارك الصباح وأحمد البشر الرومي ، وغيرهم . وعلى الرغم من أهمية سيرة حياتهم كمشاركين في الأحداث التي تعد مصادر للدراسات الاجتماعية المعمقة ، فإن الاقتصار عليها من شأنه أن يقلل ويبسط من الواقع الاجتماعي وتشابكه وتطوره ولا يعكس صورة شاملة وحقيقية عنه . يضاف إلى ذلك أن العناية كانت تتجه غالبا إلى التاريخ السياسي للكويت ، وربما كان لهذا الاتجاه ما يبرره ، إذا أخذنا في الاعتبار التهديد الخارجي المصاحب لتاريخ الكويت .

لهذين السببين ، ومن هذين المنطلقين رأى المؤلف العناية بهذا الموضوع وتقديم دراسة عن الجمعية الخيرية العربية ، سيما وأن العالم أجمع ومنه عالمنا العربي والإسلامي يشهد حاليا عناية مكثفة بدور المبادرات والتنظيمات الأهلية والعمل الخيري والتطوعي في التنمية ، واستعادته حيويته وحركته ليكون مشاركا في أحداثها وحمل جزء كبير من أعبائها ، بعد انكماش دور الدولة المركزي الذي تعاظم في فترة ما بتأثير من الفكر الاشتراكي ، في تلبية حاجات المجتمعات في مختلف المجالات .

إن الجمعية الخيرية ليست حدثا منفردا معزولا عن سياقه الحضاري ومسيرة النهضة المبكرة للمجتمع الكويتي واتصالها بالنهضة الحديثة في العالمين العربي والإسلامي ، بل تمثل المرحلة الأولى والنموذج الأول الضروري الذي بلور الفكر والممارسة الاجتماعية ، فقد تأثرت بما قبلها ودفعت وأثرت فيما بعدها من مبادرات ، وأدت إلى ظهور مؤسسات متخصصة تعليمية وثقافية واجتماعية ، لذا فمن المقبول تسمية الجمعية الخيرية العربية بأغراضها وإنجازاتها وطموحاتها لتكون «أول مشروع أهلي شامل للنهضة في الكويت» .

إن التأريخ لبداية النهضة في الكويت بتأسيس المدرسة المباركية في عام ١٩١١م فيه تبسيط مخل بالواقع ؛ فعلى الرغم من السبق الزمني لمشروع إنشاء المدرسة المباركية والتي تفصل بين افتتاحها في ديسمبر ١٩١١م وافتتاح الجمعية الخيرية في فبراير ١٩١٣م فترة زمنية قصيرة فإن اقتصار المدرسة على النشاط التعليمي - بحكم طبيعتها - مقارنة بتنوع أغراض الجمعية وشمولها يرجح جعل الجمعية الخيرية أول مشروع شامل للنهضة في الكويت .

وقد توافرت للمؤلف مجموعة من المراجع العربية والأجنبية التي ألقت ضوءا كافيا للتعرف على الجمعية والمجتمع الكويتي في عصرها ، وبقيت مراجع أخرى لم تتوافر ، وهي الصحف العراقية لاسيما الصادرة

في البصرة [1] التي عايشت ونشرت بعضا من أخبار الجمعية كما أشارت إلى ذلك بعض الوثائق المذكورة في الكتاب . ويمكن القول أن الحد الضروري من التوثيق والمعلومات عن الجمعية وأعمالها وظروف نشأتها والعاملين لها وبها قد توافر للمؤلف .

ولا يملك المؤلف إلا أن يعبر عن فخره واعتزازه وإعجابه بجيل الرواد في العمل الأهلي من المصلحين الاجتماعيين من أمثال مؤسس الجمعية المرحوم فرحان فهد الخالد وصحبه الكرام ، ممن ملكوا الرؤية المستقبلية والعزيمة القوية والإخلاص منقطع النظير والإصرار على خدمة أهلهم ومجتمعهم رغم قساوة الظروف المادية والنفسية ، جزاهم الله خير الجزاء . وأغتنم هذه الفرصة لأدعو الناشطين في العمل الأهلي في الكويت وغيرها ـ وهم خلف هؤلاء السلف ، وحملة الهم الاجتماعي ـ والعاملين في جمعيات النفع العام إلى الاقتداء برواد العمل الأهلي والاستفادة من نموذج الجمعية الخيرية العربية ، وأن يبتعدوا عن مزج السياسة بهذا العمل ، وأن يتجنبوا توظيفه لمصالح ضيقة تخص هذا

---

(١) الجريدة الوحيدة التي كانت تصدر في البصرة وقت نشأة الجمعية كما جاء في (كشاف الجرائد والمجلات العراقية ، لزاهدة إبراهيم ، وزارة الإعلام ، العراق ، ١٩٨٦) هي (جريدة البصرة) وهي جريدة رسمية صاحبها ومديرها المسؤول لبي زادة محمد علي وصدرت عام ١٨٨٩م حتى ١٩١٤م باللغتين العربية والتركية . راجع ص ٣٩ من الكشاف .

التيار الفكري أو ذاك . ويجب على العاملين في جمعيات النفع العام ترجيح الاعتبارات الموضوعية في أداء رسالتهم الاجتماعية العامة والهامة على ما عداها من أغراض وقناعات شخصية مسبقة . وأجدها مناسبة مواتية للدعوة إلى تطوير النموذج الوطني الكويتي المنطلق من مقومات الشخصية الكويتية الخليجية العربية الإسلامية المنفتحة والمتزنة ، وإلى الاتفاق على الحد الأدنى من أولويات المجتمع الكويتي أو الاهتمامات الكويتية ، لأن ضعف القطاع الأهلي بسبب تشتت الرؤى والجهود ضعف للمجتمع الكويتي وللكويت بأسرها .

وتحية تقدير وإكبار للمؤرخين الكويتيين الذين حفظوا لنا أخبار الجمعية الخيرية من أمثال : الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ عبد الله النوري والسيد سيف مرزوق الشملان .

فقد أدوا الأمانة قدر وسعهم ووفق اجتهاداتهم وإمكاناتهم فجزاهم الله كل خير . وأتمنى بهذه المناسبة على المؤرخ سيف الشملان إهداء نسخة من أرشيفه لمركز البحوث والدراسات الكويتية لتعم الفائدة منه .

وشكر خاص أوجهه لكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب سواء بالفكر أو العمل أو الدعم أو توفير المصادر والمعلومات . ولعل هذا الكتاب وأمثاله مما ظهر في حقبة ما بعد تحرير الكويت يمثل دعوة عملية لمؤسساتنا العلمية ولباحثينا لكي يولوا التاريخ الاجتماعي للكويت ما يستحقه من عناية اتساقا مع العناية المتزايدة التي يلقاها ما يسمى بالمجتمع

المدني أو الأهلي في العالم أجمع ، لتضييق الهوة بين الأجيال في الكويت . وأتطلع إلى اليوم الذي ينهض فيه جيل من الباحثين الكويتيين بهذا العمل .

أسأل المولى عز وجل التوفيق والعون والقبول والحمد لله رب العالمين . . .

ويسرني أن أقدم أخلص الشكر وأجزله إلى مركز البحوث والدراسات الكويتية ورئيسه الأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وإلى أسرة المركز ، على كريم رعايتهم للباحثين وتشجيعهم ، وتوفير التوجيه والمراجع العلمية لهم ، فلولا توفيق الله تعالى ثم وجود هذا المركز ، وهذه النخبة التي نذرت نفسها لخدمة وطنها ومواطنيها ، لتعذر إنجاز هذا الكتاب وأمثاله .

فجزاكم الله خيرا ووفقكم وأعانكم وتقبل منكم . . .

بدر ناصر المطيري

الكويت - ضاحية صباح الناصر

٥ من صفر الخير ١٤١٨ هـ

٢١ من يونيو ١٩٩٧م

الفصل الأول

البيئة الاجتماعية في الكويت
(١٣٢٧هـ - ١٣٣١هـ)
(١٩٠٩م - ١٩١٣م)

للإحاطة بظروف نشأة الجمعية الخيرية العربية ونشاطها وحلها يجب بيان البيئة الاجتماعية المحيطة بها خلال السنوات السابقة لتأسيسها ، ولاسيما في المجالات الاقتصادية والصحية والثقافية والتعليمية والاجتماعية . ونظرا لعدم وجود مصدر وطني كويتي يتناول بترتيب زمني الواقع الاجتماعي للكويت في تلك المرحلة فسيتم الاعتماد بشكل أساسي على التقارير السنوية التي كان يعدها المندوب البريطاني الكابتن شكسبير عن الوضع في داخل الكويت مع الرجوع إلى المصادر الكويتية لبيان بعض التفصيلات ووجهات النظر ما أمكن .

وفيما يلي ملخص لتقرير كل عام على حدة :

١ - الكويت عام ١٩٠٩م - ١٣٢٧ هـ

الوضع الصحي في الكويت في هذا العام لم يكن جيدا ؛ فقد انتشر مرض الجدري بشكل وبائي ، ونجم عنه عدة وفيات وعلى الأخص بين

الأطفال ، والعيادة الطبية الوحيدة الموجودة في الكويت هي التي تتبع المندوبية البريطانية وقد عالجت ٥٥٨٢ مريضا طوال العام .

وفي المجال الاقتصادي شهد العام فرض ضريبة جديدة لم تحظ برضا التجار ، وشهدت بداية السنة مجاعة في البادية لعدم سقوط أمطار في المواسم السابقة ، وبيعت الأغنام وغيرها بأسعار رخيصة بالكويت ، إلا أن آخر شهرين في العام شهدا سقوط أمطار جيدة بما يبشر بربيع جيد . أما موسم الغوص فكان ناجحا جدا ، وتقدر قيمة مجموع المحصول ما بين ٥ ,٢إلى ٣ مليون روبية ، وقام الشيخ مبارك بضبط سعر صرف الروبية ومعاقبة المتلاعبين بها بالأسواق .

وفي مجال النشاط التعليمي والثقافي كان الوضع تقليديا ، فالتعليم يتم على يد المطوع ، وكان جهدا فرديا . ولم يذكر التقرير وجود مدارس بالمعنى المتعارف عليه في هذه السنة ، وهناك إشارة إلى بداية اشتراك بعض الأسر بالمجلات العربية كالمنار والمؤيد [1] ولاسيما أسرة الخالد ، وأشار المؤرخ الرشيد إلى أن «جمهور الكويتيين يحرمون مطالعتها . .»[2] . وقبلها بعامين أي في ١٩٠٧م عاد الشيخ عيسى بن يوسف القناعي من رحلته في طلب العلم ، وافتتح مدرسة في دكانه لتدريس القراءة والكتابة والحساب والتجويد والفقه ، وهي الأولى من نوعها كما ذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد ، وكان الشيخ يوسف يعطي الدروس في ديوانه أيضا [3] .

---

(١) اعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ١٥

(٢) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ص ٣٥٢ .

(٣) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت ، د . نجاةعبد القادر الجاسم ، ص ١٦ - ١٨ .

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن العديد من رواد الإصلاح في الكويت كانوا في هذا العام قد أوشكوا على البدء في مرحلة العطاء العلمي والاجتماعي بعد نضجهم علميا من خلال ترحالهم ودراستهم على علماء عصرهم في المدن المحيطة بهم كالزبير والأحساء والحرمين الشريفين وغيرها .

ومن هؤلاء المصلحين الرواد كل من :

- الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وكان عمره (عام ١٩٠٩م) ٣٣ عاما .

- المؤرخ الشيخ عبد العزيز الرشيد وكان عمره (عام ١٩٠٩م) ٢٢ عاما .

- الشيخ عبد الله الخلف الدحيان وكان عمره (عام ١٩٠٩م) ٣٤ عاما .

- فرحان فهد الخالد الخضير وكان عمره (عام ١٩٠٩م) ٢٩ عاما .

وقد ذكر الشيخ عبد الله النوري [٤] أسماء العديد ممن قاموا بالتدريس خلال الفترة من ١٣٠٠ هـ الموافق ١٨٨٣م حتى ١٣٢٨ هـ الموافق ١٩١٠م ، ومنهم الملا قاسم وأخوه الملا عابدين (١٨٨٧م) والملا راشد الصقعبي المعروف باسم ابن شرهان (١٨٨٨م) والسيد عبد

(٤) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

الوهاب الحنيان (١٨٩٠م) وساعده ابنه السيد هاشم ، وممن تتلمذ على يديه الشيخ يوسف بن عيسى والشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وتبعهم من المعلمين محمد بن عثم والشيخ إسحاق والملا زكريا الأنصاري والملا خلف بن دحيان والملا حمادة وابنه الملا جاسم والملا عبد الله العوضي والملا محمد البغدادي والملا عمر والملا فرج الهارون والملا محمد الفارسي وغيرهم ، وقد ذكر المؤرخ الشملان اسم الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ العمر وهو مدرس معروف بالحي القبلي وعليه درس مؤسس الجمعية فرحان الخالد .

ولم يسجل في عام ١٩٠٩م أي زيارة للكويت لأي من العلماء والمصلحين من الدول العربية والإسلامية كما سيحدث لاحقا .

كما لم يسجل في هذا العام أي نشاط تبشيري مسيحي ملحوظ باستثناء زيارة قصيرة لكل من القس زويمر وجيمس مورديك ، لكن الشيخ مبارك منعهما من البقاء طويلا ، ولم يسمح لشارون تومس كذلك بمغادرة السفينة والنزول إلى اليابسة (٥) .

---

(٥) الكويت قبل النفط (مذكرات د . ستانلي ميلريا) ص ٤٠ .

٢- الكويت عام ١٩١٠م - ١٣٢٨ هـ

الحالة الصحية كانت إجمالا جيدة في هذا العام ، ومازال مستوصف المندوبية البريطانية مستمرا في العمل وقد عالج ٣٧٤٥ مريضا ومريضة خلال أحد عشر شهرا وقد جدد بناؤه خلال هذا العام ، وافتتح في شهر مارس مستوصف للإرسالية الأمريكية في بيت مؤجر من الشيخ مبارك ، وعمل فيه الدكتور أرثر بنيت ، وجاء معه شخصان آخران هما السيد فان إس ومساعد للطبيب وهو عراقي مسيحي(٦) ، وبدأ بمعالجة المرضى . ولهذا انخفض عدد المرضى المراجعين لمستوصف المندوبية البريطانية .

وقد سبق افتتاح مستوصف الإرسالية الأمريكية في مارس زيارة قام بها الدكتور بنيت للكويت في يناير من العام نفسه ، وبقي فيها ومن كان معه لمدة أسبوع بدعوة من الشيخ مبارك بعد أن قابلهما في المحمرة عند حاكمها الشيخ خزعل الذي كان يعالجه لإصابته بالسكري حيث طلب إليهما الشيخ مبارك معالجة ابنته الصغيرة ، وقد أجرى لها د . بنيت عملية في إحدى عينيها(٧) . وفي شهر أغسطس من العام نفسه افتتحت الإرسالية محلا لبيع الأناجيل في شارع السوق وعين فيه

---

(٦) المرجع السابق ص ٤١ .

(٧) المرجع السابق ص ٤١ .

مسيحي من بغداد ، وفي نوفمبر اشترى الدكتور بنيت باسم الإرسالية من الشيخ مبارك قطعة أرض مساحتها ٢٧٠ × ٣٠٠ قدم لإقامة المستشفى وملحقاته . وتعتبر قطعة الأرض هذه من أفضل المواقع في المدينة وفق ما ذكره المعتمد البريطاني في تقريره ، وبدأ المبشرون بعقد اجتماعاتهم الدينية التي يحضرها بعض المسيحيين البغداديين ، ولم يدع إليها غيرهم . وباختصار يمثل عام ١٩١٠م سنة الأساس وبداية حقبة الوجود التبشيري المسيحي في الكويت الذي قامت به الإرسالية العربية ومقرها نيويورك التابعة للكنيسة الإصلاحية في أمريكا . واقتصر عملها في هذا العام على الخدمات الطبية وتوزيع الأناجيل والأدبيات المسيحية . ويعتبر عام ١٩١٠م من السنوات الهامة في تاريخ الخدمة الطبية للإرسالية في البصرة وفي كل محطاتها في شبه الجزيرة العربية كما ذكر ذلك د . عبد المالك التميمي [٨] .

وكان موسم الغوص هذا العام جيدا رغم ما كدره من خلاف بين الشيخ مبارك وكبار تجار اللؤلؤ ، مما أدى إلى تأخر خروج النواخذة إلى الغوص مدة تقارب الشهر ، وتأجيل بعض كبار الطواشين عودتهم إلى الكويت ولجوء بعضهم إلى البحرين . وكان هناك تململ سابق نتيجة الضرائب المفروضة على التجار لتمويل الحملات التي يقوم بها الشيخ مبارك للرد على بعض الاعتداءات . وكان موسم المطر جيدا وعاما وخفف كثيرا من القحط الذي أصاب البادية في العام الماضي .

أما النشاط التعليمي فقد استمر على الوتيرة السابقة نفسها ، وأشار أحد المصادر [٩] إلى أن الدعوة إلى تأسيس مدرسة سميت فيما بعد

(٨) التبشير في منطقة الخليج العربي ، د عبد المالك التميمي ، ص ٩٧ .
(٩) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٣٩ .

بالمباركية قد تمت خلال عام ١٣٢٨ هـ الموافق ١٩١٠م ولم نجد لهذه المعلومة ذكرا واضحا في كتاب (صفحات من تاريخ الكويت) للشيخ يوسف بن عيسى ، حيث ذكر أن الدعوة لتأسيس مدرسة تمت في ذكرى المولد النبوي الذي يوافق ١٢ من ربيع الأول من كل عام دون تحديد السنة [١٠] ، ثم حدد تاريخ بداية بناء المدرسة في عام ١٣٢٩ هـ وانتهائه في رمضان من العام نفسه ، ثم الافتتاح في ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الموافق غرة المحرم ١٣٣٠ هـ الذي يوافق ٢٢من ديسمبر ١٩١١م كما ذكر ذلك الشيخ عبد الله النوري . ويضاف إلى ذلك أن تقرير عام ١٩١٠م الذي كتبه المندوب البريطاني الكابتن شكسبير لم يكن ليغفل الإشارة إلى حدث إنشاء المدرسة المباركية رغم أهميته ، ولكننا نجد إشارة إلى بداية ظهور العمل على تأسيس المدرسة المباركية في تقريره لعام ١٩١١م حيث ذكر أن العمل فيها بدأ في نوفمبر من هذا العام . لذلك أرجح أن يكون تاريخ الدعوة لتأسيس المدرسة المباركية في ١٢ من ربيع الأول ١٣٢٩ هـ الموافق ١٢ من أبريل ١٩١١م . وعلى أي حال فعدم افتتاح المدرسة المباركية في عام ١٩١٠م يعني بقاء الوضع التعليمي على ما هو عليه دون تغيير ذي شأن .

٣- الكويت في عام ١٩١١م - ١٣٢٩ هـ

بحلول هذا العام تكون الكويت قد دخلت عقد العشرينيات من

(١٠) صفحات من تاريخ الكويت ، يوسف بن عيسى القناعي ، ص ٤٥ .

القرن العشرين والذي سيشهد بدايات التطور في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية ، ففي هذا العام كانت الصحة العامة جيدة جدا إذ لم يسجل حدوث أي وباء ، وقد استمر مستوصف المندوبية البريطانية في معالجة المرضى إذ استقبل ٣٤٢٦ مريضا ومريضة ، كما استمر مستوصف الإرسالية العربية في معالجة المرضى ، وتناوب على العمل فيه كل من الدكتور هاريسون والدكتور ستانلي ميلريا ، ومع حلول نهاية عام ١٩١١م وصلت الكويت أول طبية هي الدكتورة إليانور كالفرلي التي تسمى «خاتون حليمة» ، وقد وصلت الكويت بصحبة زوجها القس إدوين كالفرلي . من جهة أخرى استمر محل الأناجيل في بيع الكتب المسيحية في السوق . كما أقام في الكويت القسيس ج .ج بننغز لبعض الوقت وبدأ يقوم بزيارات للأهالي ويقيم علاقات معهم .

وسجل الوضع الاقتصادي هذا العام مستوى مرتفعا إذ كان موسم الغوص جيدا حيث كانت الكمية وافرة وأسعار اللؤلؤ مرتفعة جدا ، وشهد هذا العام طيّ صفحة الخلاف بين بعض الطواشين والشيخ مبارك ، وكان موسم مطر هذا العام جيدا ، وإن كان أقل من سابقه .

شهدت هذه السنة بداية تغير الوضع التعليمي في الكويت ، ففي حفل المولد النبوي الذي أقيم في ١٢ من ربيع الأول ١٣٢٩ هـ الموافق ١٢ من أبريل ١٩١١م ، تمت الدعوة إلى إنشاء المدرسة المباركية ، ويذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه (صفحات من تاريخ الكويت) [١١] قصة إنشاء المدرسة على النحو التالي :

---

(١١) المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٥ .

كان الشيخ محمد بن جنيدل يقرأ (قصة المولد النبوي لجعفر بن حسين) البرزنجي في محلنا ، وكان المجلس محتشدا بالمستمعين ، فلما انتهى المولد قام المرحوم ياسين بن السيد (محمد) الطبطبائي وألقى كلمة خلاصتها «ليس القصد من مولد النبي تلاوة المولد وإنما القصد الاقتداء بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الجليلة ، ولا يمكنا الاقتداء به إلا بعد العلم بسيرته ، والعلم لا يأتيكم اليوم إلا بفتح المدارس المفيدة وإنقاذ الأمة من الجهل» ، وبعدما انتهى من كلامه تدبرته (يوسف بن عيسى القناعي) فإذا هو الحق فأخذت أفكر في الوسيلة التي يكون بها فتح مدرسة علمية ، فرأيت أن أكتب مقالا أبين فيه فضل العلم والتعليم ومضرات الجهل وقيمة التعاون على هذا المشروع ، فكتبت هذا المقال وابتدأت بالتبرع لهذا المشروع بمبلغ ٥٠ روبية ، ليست في ملكي حينئذ إنما دفعتها بعد أن يسرها الله لي ، ثم ذهبت إلى المرحوم سالم بن مبارك الصباح وتلوت عليه المقال ، فأجابني بأنه لا يمكن أن يقوم بهذا الأمر إلا الحاكم وكان الحكم حينئذ بيد والده مبارك .
وخرجت منه قاصدا محل شملان بن علي بن سيف ولم أجد هناك إلا إبراهيم بن مضف فتكلمت معه عن المشروع فتبرع بمائة روبية ، وبعد هنيهة جاء شملان وأخبرته فحبذ هذا العمل ولكنه لم يظهر لي غايته ولم يكتب شيئا ، فخرجت من محله منكسف البال ، لأنه الصديق الحميم الذي يسمع كلامي ، ولا يخالفني في شيء ، ولكنه حين قيامه من محله ذهب إلى دكان أولاد خالد الخضير وأخبرهم بالخبر فاستبشروا به وتبرعوا بخمسة آلاف روبية وتبرع شملان بمثلها ، وطلبوا

من إبراهيم بن مضف الزيادة فتبرع بخمسمائة روبية ، ثم خاطبوا هلال المطيري فتبرع بخمسة آلاف روبية ، ثم جرى الاكتتاب فحصل من بقية أهل الكويت ١٢٥٠٠ روبية ، ثم كتب آل خالد وناصر المبارك (الصباح) وشملان وهلال إلى قاسم وعبد الرحمن آل إبراهيم ، فتبرع قاسم بثلاثين ألف روبية ، وتبرع عبد الرحمن بعشرين ألفا فصار مجموع رأس مال المدرسة ٧٧٥٠٠ روبية ، وتبرع أيضا أولاد خالد الخضير ببيت كبير للمدرسة ، وعينت لمباشرة البناء ، واشترينا بيت سليمان العنزي وبيتا آخر بقيمة زهيدة ، وحصل بيت وقف خرب تحت إشراف آل خالد (وقف سبيكة الخالد) أدخلناه في المدرسة ، وتعهدت المعارف بدفع قيمة أضحيتين بحسب نص الوقف كل سنة ، فصار مجموع قيمة البيوت التي ألحقت في بيت الخالد ٤٠٠٠ روبية ، شرعنا في البناء سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) وانتهى في رمضان (سبتمبر) من هذه السنة ، وبلغ مجموع ما صرف على البناء والأبواب والأخشاب نحو ١٦٠٠٠ روبية ، وفتحت المدرسة للتدريس (في ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم) أول المحرم سنة ١٣٣٠ هـ (٢٢من ديسمبر ١٩١١م) ، وعينت ناظرا لها والمدير السيد عمر عاصم ، وسارت المدرسة سيرا حسنا نحو ٣ سنوات ، ثم عزلني الشيخ مبارك الصباح عنها» . . أ .هـ .

ويورد الشيخ عبد الله النوري في كتابه (قصة التعليم في الكويت في نصف قرن) [١٢] تفضيلات إضافية حول مدرسة المباركية نوردها

---

(١٢) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٤٤ .

بتصرف على النحو التالي :

«إذن فقد بقي من الاكتتاب ٥٨٠٠٠ روبية ظلت عند آل خالد الخضير لكي ينموها بالمعاملة بها ، وكان الربح يومئذ في تموين أهل الغوص وتجهيزهم فأقرضوهم وعاملوهم واشتروا بما بقي من النقد دكاكين في محلة المباركية وسوق الدهن . وقد أحسن آل خالد النية في تنمية مالية المدرسة حتى تشكلت المعارف في سنة ١٣٥٤ هـ فسلموا ما بيدهم لها وهو بضعة عشر ألفا . وكانت المدرسة تتقاضى راتبا (رسوما) شهريا على كل طالب وفق درجته المالية ، روبيتين فأكثر بلا حد على الغني ، وواحدة على متوسط الحال ، ولا شيء على المعدم ، وقد بلغ عدد الطلاب عام ١٣٣٠هـ (١٩١١م) ٢٥٤ طالبا والرسوم التي حصلت منهم ٣٥٨٠ روبية . وعين للمدرسة مجلس مالي مكون من ثلاثة أشخاص هم حمد الخالد الخضير وشملان بن علي بن سيف وأحمد (محمد) الحميضي . أ .هـ .

وفي أكتوبرمن عام ١٩١١م تم تنظيم حملة جمع التبرعات لدعم المجهود الحربي للدولة العثمانية في معركتها مع إيطاليا حيث ذكر أنه تم جمع مائة ألف روبية . وقد زار الكويت هذا العام الصحافي محمد طلعت المصري من جريدة المؤيد الصادرة في مصر والتي يشترك بها بعض الشخصيات في الكويت .

٤- الكويت عام ١٩١٢م - ١٣٣٠هـ

كان عام ١٩١٢م مليئا بالأحداث مقارنة مع الأعوام السابقة ، فالوضع الصحي كان جيدا في الكويت والمناطق المحيطة بها ، ولم يسجل انتشار أية أمراض وبائية ، وراجع مستوصف المندوبية البريطانية ٣٢٨١ مريضا ، وهو عدد يقل عن مثيله في عام ١٩١١م . وشهد مستوصف الإرسالية العربية توسعا إذ أصبح الطاقم الطبي فيه يتكون من طبيب وهو الدكتور ستانلي ميليريا الذي حل محل الدكتور بول هاريسون لبعض الوقت ، وفي أول يوم من عام ١٩١٢ بدأت أول طبيبة العمل في الكويت وهي الدكتورة إليانور كالفرلي ، ويساعدهما ممرض هو جيلاني الأفغاني في عيادة الرجال ، وأمينة وروجينا في عيادة النساء ، وبالإضافة إلى الطاقم الطبي في محطة الكويت التابعة للإرسالية العربية عين أول قسيس مقيم في الكويت للتبشير وهو إدوين كالفرلي زوج الطبية ، ويساعده موزع للأناجيل يعمل في المحل (المكتبة المسيحية) قد يكون اسمه جرجس من سوريا ، وهو ابن الممرضة أمينة وأخو روجينا ، واستأجرت الإرسالية منزلا آخر لسكن القسيس ، وشهد هذا العام بداية العمل التبشيري المفتوح من خلال الفصل الدراسي الذي أسسه القس كالفرلي وجمع له نصف «درزن» من الطلاب ، إضافة إلى فصل مدرسة الأحد ، وزيادة عدد الأناجيل والكتب المسيحية الموزعة والمباعة في الأشهر الخمسة الأولى ، مما أحدث رد فعل لدى الكويتيين ، وبذلك أصبح العمل التبشيري علنيا وواضحا في مجال الصحة

والتعليم وفق ما ذكره القس إدوين كالفرلي في العدد ٩٢ من مجلة الإرسالية العربية والذي ترجمناه في الملحق رقم (١) . وزار الكويت هذا العام السيد شو وهو المسئول عن العمل الحرفي والتعليمي في الإرسالية .

وقد أصبح النشاط التبشيري المسيحي في البحرين والكويت في هذا العام مبعثا لقلق العديد من المصلحين والشخصيات المثقفة التي تعرف الأهداف التي يسعى المبشرون لتحقيقها ، وقد تفاوتت ردود الأفعال على هذا النشاط ، ونظرا لاهتمام مجلة المنار وصاحبها محمد رشيد رضا بمتابعة أعمال التبشير المسيحي والكتابة عنها في مجلته واسعة الانتشار والتي كان من بين المشتركين بها أسرة الخالد حيث يذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد [١٣] «أول بيت في الكويت يستحق إسناد فضل السبق إليه في الاشتراك بالصحف هو بيت آل خالد النجباء ، فقد بزوا سواهم في هذا الميدان ، في الوقت الذي كان جمهور الكويتيين يحرمون مطالعتها» ، لذا فقد كان من الطبيعي أن تجرى مراسلات بين صاحب المنار وشخصيات من الخليج بهذا الشأن . وقد نشرت مجلة المنار إحدى هذه الرسائل وكاتبها مجهول من الخليج رمز لنفسه باسم (من بطون الفلوات ـ سائح ناصح) وقد أثبتناها في الملحق رقم (٥) . وقد كشفت الرسالة أن هناك تواصلا بين كاتب الرسالة والشيخ محمد رشيد رضا ،حيث ذكر أنه سيوافيه بتفصيلات أخرى ، غير تلك الواردة

(١٣) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٥٢ .

في الرسالة ، بالمشافهة . كما كشف جواب مجلة المنار على الرسالة والمنشور أيضا بعدها مباشرة أن هناك تواصلا مع بعض رجالات الكويت والبحرين وعمان والعراق ، وذكر اسمين لشخصيتين خليجيتين هما مقبل الذكير ، وهو مؤرخ ، والشيخ قاسم بن ثاني ، وهو أيضا من ذوي الاهتمامات العلمية والإصلاحية في قطر في وقتها . والأهم من ذلك كله أن الشيخ محمد رشيد رضا دعا هؤلاء إلى «أن يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم يكون أول عملها مجاهدة هؤلاء الدعاة (المبشرين) بمثل ما يجاهدون المسلمين به ، بأن يكون أول عملها توزيع الكتب التي تبين حقيقة النصرانية الحاضرة مجانا . . . ثم يجب على الجمعية أن تغني المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الدخول فيها بكل الوسائل الممكنة . . . » والشيخ محمد رشيد رضا من الناشطين في مجال العمل الإصلاحي وصاحب تجربة في إنشاء جمعيات خيرية والدعوة إلى تكوينها ، فقد أسس جمعية الدعوة والإرشاد بمصر في ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم في ١٢ من ربيع الأول ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢م . وإلى ذلك يشير تقرير الحالة الدينية في مصر [١٤] حيث يقول« . . من النخبة التي قادت حركة الجمعيات الأهلية في القرن التاسع عشر الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وأحمد لطفي السيد والشيخ رشيد رضا وغيرهم» .

(١٤) تقرير الحالة الدينية في مصر ١٩٩٥م ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، مصر ، ص ٢٣٤ .

وفي الكويت وجه بعض المشتركين في مجلة المنار الدعوة للشيخ محمد رشيد رضا لزيارة الكويت التي وصلها يوم الخميس ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٣٠ هـ الموافق ٩ من مايو ١٩١٢م ، ومكث فيها أسبوعا ، وغادرها يوم الخميس ٢٩ من جمادي الأولى ١٣٣٠هـ الموافق ١٦ من مايو ١٩١٢م .

وكتب الشيخ رشيد رضا عن رحلته بعنوان (رحلتنا الهندية العربية - شكر علني لأهل عمان والكويت) ، وقد أثبتنا ما كتبه في الملحق رقم (٦) . وأعتقد أن أسرة الخالد هي التي دعت الشيخ رشيد رضا لزيارة الكويت لكونهم من أقدم المشتركين في مجلة المنار إضافة إلى مساهمتهم وإشرافهم على الشئون المالية للمدرسة المباركية التي كانت تحتاج إلى مدرسين في مطلع عام ١٩١٢م ؛ ولذلك فقد دعى رشيد رضا للإشراف على اختيارهم ، كما ذكر ذلك الكابتن شكسبير المندوب البريطاني في تقريره عن عام ١٩١٢ . يظهر من ذلك أن السبب وراء دعوة رشيد رضا عمل يتصل بالمدرسة المباركية إضافة إلى إلقاء دروس في المساجد والمجالس والتداول حول الواقع الاجتماعي والثقافي في الكويت .

ومن الداعي للأسف أن الشيخ رشيد رضا عندما كتب عن زيارته للكويت لم يشر إلى محتوى الخطب والدروس التي ألقاها ولم يذكر أهم الموضوعات التي تداولها مع رجالات الكويت وقتها ، وقد ذكر ذلك الكابتن شكسبير المندوب البريطاني في تقرير عام ١٩١٢ ، وفيما

يلي ترجمة لما ورد في هذا التقرير عنها :

«زار الكويت في مايو السيد محمد رشيد صاحب مجلة المنار الدينية المصرية ، وقد كان في نية بعض المساهمين في المدرسة (المباركية) أن يسندوا مهمة اختيار المدرسين له (رشيد رضا) . وانقسم الرأي محليا . . ووصل السيد محمد رشيد رضا يرافقه محمد بن سالم مندوب الشيخ مبارك في بومبي ، وصلا إلى الكويت في ٩ من مايو (١٩١٢م) وفي اليوم التالي ألقى محاضرة (خطبة) حضرها الشيخان جابر وناصر (ابنا الشيخ مبارك) وحوالي ١٠٠٠ شخص من مختلف الطبقات ، وتناول (رشيد رضا) موضوع الدعوة الإسلامية ، نشرها وشعائرها ، وفي معرض حديثه حذر مستمعيه من المبشرين الأجانب ومن شاكلهم والذين يحاولون الحصول على موطئ قدم في البلدان الإسلامية ، ولم تكن المحاضرة موجهة بشكل مباشر ضد الأوربيين أو ضد المسيحيين ولكن فحواها بلا شك تتجه نحو عدم الترحيب بالأجانب . ورغم أن السيد رشيد رضا بقي في الكويت أكثر من شهر (الصحيح أنه بقي لمدة أسبوع) فإن دروسه التالية كانت محصورة في تفسير القرآن والسنة النبوية وبيانهما ، وقد يكون ذلك بتوجيه من الشيخ مبارك الذي كان يحل ضيفا عليه» . كما كتب القس إدوين كالفرلي الذي كان وقتها موجودا بالكويت ، وبدأ في ممارسة نشاطه التبشيري عن خطب الشيخ رشيد رضا في المساجد وتركيزه على مقاومة التبشير ، وأهم ما أشار إليه دعوة رشيد رضا أهل الكويت إلى الاستغناء عن اللجوء لمستوصف

الإرسالية وفصلها الدراسي من خلال توفير المرافق الصحية والتعليمية الخاصة على أن تكون ذات مواصفات متطورة . وقد أثبتنا ذلك في الملحق رقم (١) .

ووصف المؤرخ عبد العزيز الرشيد الأثر الذي تركته زيارة الشيخ محمد رشيد رضا في الكويت في معرض حديثه عن الحركة الفكرية والعلمية [١٥] التي أرجع الفضل في تطورها إلى سببين : الأول منهما الاشتراك بالصحف ومطالعتها ، والسبب الثاني الآراء الحرة والنصائح الثمينة التي كان يبثها أهل العلم والفضل من الغرباء الذين يتخذون ساحة الكويت ميدانا لتعاليمهم الراقية وأفكارهم الحية . وهنا نورد نص ما ذكره المؤرخ الرشيد «وكان أول من حاز قصب السبق في هذا المضمار الأستاذ الكبير العلامة المحقق السيد رشيد رضا فإنه في السنة التي زار فيها الكويت أحدث انقلابا بين أهلها وتأثيرا عظيما بخطبه الرنانة التي قام بها في أكبر جامع وهو يتدفق كالسيل المنحدر ، قام بتلك الخطب الساحرة هناك ، فتاب إلى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلته السوء ، وأصبح عدد الراغبين في العلوم الراقية التي كانوا يحرمونها أو لا جمّا غفيرا ، بعد أن كانوا يعدون على الأصابع ، وكذا ازدادت الرغبة في مجلته الغراء بعد أن لم يكن لها من المشتركين إلا اثنان أو ثلاثة» . ومن المهم الإشارة هنا إلى أن المؤرخ عبد العزيز الرشيد لم يكن في الكويت وقت زيارة رشيد رضا لها ، ويبدو أنه اعتمد على ما سمعه من رجالات

(١٥) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٥٣ .

الكويت ؛ فقد ذكر د . يعقوب الحجي في كتابه عن الشيخ عبد العزيز الرشيد أنه قد غادر الكويت في عام ١٩١١م في رحلة لطلب العلم أخذته إلى بغداد للتتلمذ على يد محمود شكري الألوسي ، ثم مصر لمحاولة الالتحاق بمدرسة دار الدعوة والإرشاد التي أسسها محمد رشيد رضا ، وبعدها إلى مكة حيث أدى الحج لعام ١٣٣٠ هـ الموافق نوفمبر ١٩١٢م ، ثم غادر مكة إلى المدينة المنورة حيث جاور هناك لمدة عام تقريبا ، وبعدها عاد إلى الكويت في أواخر ١٩١٣م أو أوائل ١٩١٤م .

وجاءت زيارة محمد رشيد رضا للكويت خلال الفترة ما بين ٩ و١٦ مايو في الوقت الذي تستعد الكويت فيه لموسم الغوص الذي يبدأ من مايو وحتى أغسطس ، والذي عادت فيه المراكب لقضاء شهر رمضان في الكويت ثم الخروج مّرة أخرى خلال سبتمبر وأكتوبر . وكان موسم الغوص ممتازا فقد زادت عدد المراكب مائة مركب في هذا الموسم مقارنة مع موسم العام الماضي . وبعد انقضاء موسم الغوص الذي شغل أهل الكويت ، بدا أن الأفكار الإصلاحية التي بثها الشيخ رشيد رضا عادت للتفاعل في أواخر عام ١٩١٢م وبدايات عام ١٩١٣م . ويبدو أن مؤسس الجمعية الخيرية السيد فرحان الخالد قدتأثر بأفكار الشيخ رشيد رضا حيث «عقد شبان الكويت نادي أدب وذلك بهمة الفاضل فرحان بن خالد الخضير» كما ذكرت ذلك مجلة لغة العرب لصاحبها الأب انستاس ماري الكرملي في عددها الصادر في رمضان ١٣٣٠ هـ سبتمبر ١٩١٢م .

ولا يوجد في المصادر التاريخية الكويتية أي إشارة إلى قيام مثل هذا النشاط .

كما زار الكويت هذه السنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢م أيضا الشيخ عبداللطيف بن عبد الله المبارك من الإحساء ، ويبدو إنه له وجهة نظر في دعوة الشيخ محمد رشيد رضا وأثرها في الكويت وقد نظم أرجوزة تلخص وجهة نظره أوردناها في الملحق رقم (٨) نقلا عن رسالة شخصية من حفيد الشيخ إلى مؤلف الكتاب .

وقد تقلص النشاط التبشيري للإرسالية العربية في أعقاب زيارة الشيخ رشيد رضا وتوقف النشاط التعليمي وضعف النشاط الصحي بقية عام ١٩١٢م . وإجمالا كان عام ١٩١٢م الموافق ١٣٣٠ هـ مزدهرا اقتصاديا وثقافيا وتعليميا قياسا إلى سابقه .

٥- الكويت في عام ١٩١٣م - ١٣٣١ هـ

هذا العام يمكن تسميته بعام الجمعية الخيرية حيث تفاعلت الأفكار التي تمت مناقشتها مع الشيخ محمد رشيد رضا ، وقد تداعى المصلحون لترجمتها في مؤسسة متعددة الأغراض : اجتماعية وثقافية وصحية وتعليمية . وفي بداية عام ١٩١٣م تكثفت المشاورات والاجتماعات لتتمخض عن إنشاء الجمعية الخيرية العربية وافتتاحها في ١٢ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ١٨ من فبراير ١٩١٣م .

وقد كانت الظروف الاقتصادية التي عاشتها الكويت في الأعوام الثلاثة السابقة ، وهي ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢م ، مواتية بسبب جودة مواسم الغوص في هذه الأعوام ، مما سهل على أصحاب الخير المساهمة في المشروعات الخيرية وقتها كالمدرسة المباركية والجمعية الخيرية ، كما نظم الشيخ مبارك حملة جمع تبرعات في ١٠ يناير لصالح ضحايا الحرب التركية البلقانية ، وأرسلت التبرعات التي شارك فيها تجار الكويت إلى جمعية الهلال الأحمر التركي .

وقد جاء إنشاء الجمعية في هذا العام لتسهم في التخفيف من سوء الأحوال الاقتصادية التي عاشتها الكويت في هذا العام بسبب عدم هطول الأمطار وعدم نجاح موسم الغوص . وبعد التأسيس وحفل الافتتاح في فبراير بدأت الجمعية في الخطوات العملية لاستقدام طبيب وصيدلي وشيخ ، وتوفير الأجهزة والمقر ، وتجميع الكتب لتحقيق أغراض الجمعية ، وامتدت هذه الترتيبات خلال الفترة ما بين فبرايرويوليو تقريبا ، وبعدها باشرت الجمعية أعمالها حتى أكتوبر حين غادر الطبيب الكويت وأغلق مستوصف الجمعية ، بينما استمر الدور الثقافي لها ببقاء الشيخ محمد الشنقيطي لبقية العام .

وقد أسهم البدء في إنشاء مبنى مستشفى الإرسالية في يناير في حشد الدعم اللازم سياسيا وماليا واجتماعيا لإنشاء الجمعية وقبولها رغم وجود معارضة من بين فئات المجتمع . أما الحالة الصحية فقد استمرت جيدة باستثناء انتشار مرض الجدري في الفترة من منتصف شهر سبتمبر حتى أكتوبر ، واستمر مستوصف المندوبية البريطانية في معالجة المرضى حيث استقبل ٣٢٦١ مريضا ، كما استمر مستوصف

الإرسالية العربية في معالجة المرضى ، وعمل فيه هذه السنة الدكتور هاريسون ، وحل محله لبعض الوقت الدكتور ميليريا ، كما استمرت الدكتورة إليانور كالفرلي في معالجة المريضات . وعمل كذلك طوال العام القس كالفرلي وإن انخفض نشاطه بسبب المعارضة للنشاط التعليمي للإرسالية . وأهم ما استجد في نشاط الإرسالية هذا العام هو البدء في إنشاء المستشفى (الأمريكي) في يناير ، حيث باشر أعمال الإنشاء السيد شو من شركة شو وهينز وخلفه السيد هينز ، واستمرت أعمال الإنشاء طوال العام حيث توقفت في نوفمبر لنقص المواد والتمويل .

وفي أبريل من هذا العام مرض الشيخ مبارك وأشرف على علاجه الدكتور هاريسون من الإرسالية العربية ومساعد الجراح الذي يعمل في مستوصف المندوبية البريطانية .

وبنهاية العام كانت الجمعية الخيرية تمر بمرحلة التصفية الفعلية رغم حاجة المجتمع إليها ، كما ظهر ذلك جليا بعد ربع قرن من الزمان ، ثم غادر طبيب الجمعية في أكتوبر بمعية الشيخ مبارك إلى الفيلية .

وبذلك طويت صفحة مشرقة من صفحات العمل الأهلي في الكويت . أصبحت فيه الجمعية الخيرية نموذجا وأساسا لما تلاها من الأنشطة والمؤسسات والممارسات التي جسدت تطلعات المجتمع الكويتي نحو التغيير وتحسين واقعه الاجتماعي والثقافي والصحي في سياق مشروع النهضة الحديثة للمجتمع الكويتي .

وسنذكر بالتفصيل المراحل التي مرت بها الجمعية منذ تأسيسها حتى تصفيتها في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

محاولة للفهم والاستفادة

المجتمع الكويتي

المجتمع الكويتي في بداية القرن العشرين ، وهو زمن ظهور الجمعية ، كان مجتمعا بسيطا في احتياجاته وتنظيماته ، وكانت التنظيمات الموجودة فيه ، وهي تنظيمات الحكم والقضاء والنشاط الاقتصادي (الغوص والتجارة) ، مستقرة وتفي بالغرض الأساسي لإدارة شئون المجتمع . وبالإضافة إلى هذه التنظيمات التي تفي بالشأن العام كانت هناك أوقاف توفر موردا للمساعدات الاجتماعية كإطعام الفقراء والصرف على المساجد وأوجه الخير الأخرى ، وقد بلغ عدد الأوقاف المسجلة والقائمة وقت تأسيس الجمعية في عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣م ما يزيد على ١٣٤ وقفا وفق ما أورده سجل العطاء الوقفي الصادر عن الأمانة العامة للأوقاف الذي يحوي حصرا بالأوقاف التي تقع تحت نظارتها . وكان تنظيم هذه الأوقاف بيد نظارها ومشرفيها من الواقفين أنفسهم أو ذرياتهم ، ويشرف عليهم قاضي الكويت .

أما الشأن التعليمي فكان بسيطا كذلك ، قائما على الملا أو المدرس الفرد ، ولم توجد مؤسسات تعليمية بالمفهوم المتعارف عليه حتى تأسيس المدرسة المباركية في عام ١٩١١م .

ولم تكن الشئون الصحية بأفضل حالا ، إذ كان التداوي بالطب الشعبي هو الأساس ، وافتتح أول مستوصف في الكويت في ٣٠ أكتوبر ١٩٠٤م ، وهو مستوصف دار الاعتماد البريطانية كما ذكر الدكتور خالد فهد الجار الله في كتابه «تاريخ الخدمات الصحية في الكويت»[١٦] .

والشأن الثقافي العام لم يكن يختلف عن بقية المجالات الاجتماعية والتعليمية والصحية باستثناء زيارات كان يقوم بها بعض العلماء والشيوخ من الأحساء حتى زار الكويت الشيخ محمد رشيد رضا في مايو ١٩١٢م .

وإجمالا كانت السمة الغالبة للأنشطة العامة في الكويت في مختلف الميادين في حقبة ما قبل الجمعية الخيرية هي البساطة والعفوية والفردية ، لذلك فإن ظهور المدرسة المباركية في عام ١٩١١م وبعدها الجمعية الخيرية العربية يدل على قفزة نوعية في التفكير والممارسة الاجتماعية .

هذا النمط من التنظيم الجماعي والمصطلحات والمناهج والآليات لتلبية احتياجات المجتمع الكويتي لم يكن وليد البيئة المحلية البسيطة وحدها ، بل جاء نتيجة احتكاك مع الخارج اقتباسا وتحفيزا .

وهنا لابد من الإشارة إلى سمة مصاحبة للمجتمع الكويتي وتركيبته

(١٦) تاريخ الخدمات الصحية في الكويت ، د . خالد فهد الجار الله ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٩٩٦ ، ص ٥٧ .

ومفتاح من مفاتيح الشخصية الكويتية ألا وهو الانفتاح على المؤثرات الخارجية والمرونة في تقبل المتغيرات . وعادة ما يصاحب هذه المرونة أو يستلزمها وجود الثقة بالنفس ، وكذلك القابلية للانسياق وراء الوافد الجديد بالقدر نفسه ، فمن المعلوم أن الكويت بلد ساحلي تقوم حياته على تبادل المنافع مع العالم الخارجي المحيط به ، لذلك فهو كما يستورد البضائع التجارية يتأثر بالأفكار الوافدة على يد المصلحين الاجتماعيين والتجار وغيرهم من أصحاب المصالح على السواء . والناظر إلى الواقع الحالي الذي نعيشه يجد أن كافة دول العالم أصبحت ساحلية وتقع على ضفاف بحار ومحيطات المعلومات والإعلام التي تسري مادتها في الأثير دون انتظار موافقةمن أحد أو من سلطة . وكما تتميز الشخصية الكويتية بالمرونة والانفتاح فإنها تتميز أيضا بدرجة من الوعي والتطور مكنتهامن إقامة شبكة علاقات واسعة في المجال التجاري ، وأهلتها للاستفادة من المؤثرات الفكرية من الأحساء ونجد والحجاز والبحرين والبصرة ومصر والهند على حد سواء ، وبمقاييس ذلك الزمان . كما عرضها موقع بلادها لمؤثرات أجنبية سياسية واقتصادية ودينية بوصفها بوابة من بوابات الجزيرة العربية . وتوفر حالة الجمعية الخيرية العربية نموذجا واضحا للتأثر الإيجابي بالمحيط المحلي والخارجي ، فلولا التأثر بدعوات النهضة والتقدم التي بدأت تنتشر في العالم العربي والإسلامي ، والتي رفعت لواءها مجلة المنار لمحمد رشيد رضا من جهة ، ولولا التحدي والاستفزاز للهوية والوجود الذي جسده التبشير المسيحي في الكويت من جهة أخرى ، لما تأسست الجمعية الخيرية بشكلها التنظيمي

وأغراضها وكوادرها البشرية من طبيب تركي وعالم موريتاني ومفكر مصري لبناني .

العمل الأهلي

تتعدد التسميات التي تطلق على المبادرات والمشاركات التي يقوم بها أفراد من المجتمع بشكل أحادي أو جماعي لتلبية حاجة أو تقديم خدمة عامة . ومن التسميات الدارجة القطاع الأهلي أو الخيري أو التطوعي أو غير الربحي أو المنظمات غير الحكومية ، وكلها تسميات تشير إلى مساحة من العطاء الاجتماعي بمختلف أشكاله من جهد وفكر ومال وغيره لا تقوم به الحكومات أو القطاع الخاص الربحي .

ونشهد حاليا اهتماما عالميا بهذا العمل الأهلي ، وذلك في سياق تغييرات جوهرية في دور الدولة أو مؤسسة الحكم تتجه نحو تقليص هذا الدور بعد انحسار الفكر الاشتراكي وتناقص الثروات الطبيعية أو انخفاض أسعارها . وهذا العمل الأهلي ليس جديدا فهو عريق وقديم وإن كان يتم بشكل فردي كجهود المصلحين الاجتماعيين أو إيقاف الأوقاف على منافع عامة .

وفي الكويت نجد أن بداية كافة جهود النهضة والتقدم في المجالات الصحية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والخدمية وغيرها كانت أهلية المنشأ وتتم بوساطة مبادرات وتمويل من الأهالي . والجمعية الخيرية

العربية (١٩١٣م) قدمت النموذج المؤسس الأول الذي يستوعب هذه الطموحات ويجسدها في عمل جماعي وبصيغة مؤسسية اسما ومحتوى ، وقبلها المدرسة المباركية (١٩١١م) ، وهي تمثل مشروعا خيريا تعليميا ،وليست إطارا مؤسسيا لأغراض متعددة وذات عنوان عريض . وتبعتها المدرسة الأحمدية (١٩٢١م) ثم المكتبة الأهلية (١٩٢٢م) والنادي الأدبي (١٩٢٣م) .

وتنوعت المساهمات الأهلية فشملت مساهمة فكرية أو بالجهد أو بالمال أو بغيره وقد استوعبت الجمعية أشكالا متنوعة من هذه المساهمات . فإذا كان التخطيط لإنشاء الجمعية ، وإعداد شكلها المؤسسي ونظامها الأساسي ، والترويج لها وحث الناس على قبولها والتفاعل معها ، من قبيل ما قام به مؤسس الجمعية والشيخ عبد الله الخلف الدحيان ، يمثل مساهمة فكرية ، فهناك مساهمات وتطوع بالوقت والجهد ، من مثل ما قام به سلطان إبراهيم الكليب ومساعد عبد العزيز الكليب وعبد الحميد عبد العزيز الصانع الذين عملوا بالتمريض متطوعين في عيادة الجمعية . أما المساهمة بالمال فواضحة من خلال الاشتراكات والتبرعات التي تلقتها الجمعية إضافة إلى الوقف الذي أوقفه مؤسس الجمعية وإخوانه عليها ، وهناك مساهمات عينية تمثلت في التبرع بالكتب لمكتبة الجمعية لتعم الفائدة منها . أليست هذه الأشكال المتنوعة للمساهمة تشير إلى ثراء تجربة الجمعية وتطور نموذجها المؤسسي الذي جمع بين الأصالة والحداثة؟ .

إن حصر المساهمات الاجتماعية وقصرها على التبرع بالمال خطأ

يقع فيه الدراسون للعمل الاجتماعي والناشطون والمساهمون في العمل الخيري والتطوعي ، فرأس المال الحقيقي في العمل التطوعي هو العنصر البشري الواعي والمحرك الذي يستقطب ويستوعب أشكال المساهمات ليخرجها بشكل مؤسسي فاعل ذي أثر أبلغ وأدوم .

وبمقارنة المساهمات والإمكانات التي توافرت للجمعية الخيرية العربية في بداية القرن مع ما هو متاح حاليا للعمل الأهلي في الكويت نجد فرقا شاسعا لصالح وقتنا الحاضر في توافر العناصر اللازمة لنجاح العمل الأهلي فالتمويل متوافر ، والعنصر البشري المتحفز مستعد للمشاركة ، والمناخ السياسي المحلي يشجع على العطاء العام ، فما الذي ينقص العمل الأهلي ليمارس دوره؟ قد تكون الإجابة نقص التحدي وحالة الاسترخاء النفسي الذي يأتي مع الوفرة المالية ، وقد تكون غياب الرؤية الاستراتيجية أو القيادة الفاعلة أو كلها جميعا . أعتقد أن هذه قضية تستحق من مفكرينا ومؤسساتنا الأكاديمية العناية بحثا وتوجيها ، فما هو متاح اليوم قد لا يتاح غدا .

ويستوقف الباحث في الجمعية الخيرية وجود معارضة لها أو عدم حماس أدى إلى عدم استمرارها لفترة طويلة . ولعل أحد الوجوه لتفسير وجود المعارضة ، رغم وجاهة مشروعها وأغراضها ونزاهة أفرادها ومكانتهم ، هو طبيعة عملية التغيير والظروف النفسية المصاحبة له ، فعمليات التغيير دائما غير محببة للنفس ، فضلا عن التباين في قدرات وخلفيات الداعين للمشروع ومعارضيهم أو ما يمكن تسميته البعد الشخصي ، وقديما قيل إن الإنسان عدو ما جهل . أضف إلى ذلك

المثالية والطموح العريض اللذين ظهرت بهما الجمعية أمام المجتمع البسيط في تصوراته ، ويظهر ذلك جليا من خلال أحد أغراضها وهو إرسال طلاب إلى الجامعات الإسلامية في البلاد العربية الراقية في وقت لم تكن توجد في الكويت مدرسة واحدة . لذلك فالقفزة من الكتاتيب إلى الجامعات لابد وأن تجد معارضة وتأويلا غير إيجابي للداعي إليها ومنطلقاته .

والمثالية والطموح سمتان ملازمتان لعمليات التغيير والتي يندر أن تتحقق بنفس القدر الذي رسم لها ، فالنماذج الأولى والبدايات تكون بسيطة دائما ومغلفة بالعمومية ، والمثالية ، وكذلك كان حال الجمعية الخيرية في بعض مطالبها .

ويلفت النظر في الجمعية الخيرية تمازج جهود أصحاب المال وأصحاب الفكر والعلماء أو رجال الدين والتقاؤها لتصب في اتجاه واحد من شأنه أن ينهض بمجتمعهم ، وللقارئ الكريم أن يفكر في مدى الفائدة التي تعود على المجتمع لو التقت جهود مختلف الشرائح من المجتمع على الحد الأدنى من الأهداف في مقابل التناحر ومحاولات الاستقطاب التي تشهدها ساحة العمل الاجتماعي .

ولعب الحافز الديني دورا مهما في نشأة الجمعية الخيرية العربية ؛ فمواجهة التبشير المسيحي ، ودعوة الشيخ محمد رشيد رضا ؛ وحماس الشيخ عبد الله الخلف الدحيان وتفاعله ؛والتدين الذي صبغ شخصية مؤسس الجمعية وانعكس في خطابه في افتتاح الجمعية ؛ كلها دلائل تشير إلى الأثر الايجابي للتدين ودوره في حفز وتشجيع المبادرات

الأهلية . ولم تكن التجربة الأهلية الكويتية تختلف عن مثيلاتها في مصر وغيرها . وتعزيزا لهذا الاستنتاج يشير تقرير الحالة الدينية في مصر لعام ١٩٩٥م [١٧] إلى أن «المكون الديني قد أسهم إلى حد كبير في بلورة العمل الأهلي وتحديد أهدافه فكانت مواجهة الإرساليات التبشيرية الأجنبية هي البداية التي تلتها أهداف أخرى .» . .

وفي تشريعات الإسلام وأحكامه وآدابه عناية واضحة بالبذل والعطاء والتطوع ؛ منه ما هو مفروض مقنن مثل الزكاة والكفارات ؛ ومنه ما هو طوعي مثل الصدقات والوصايا والهبات والوقف على وجوه الخير وفي سبيل المصالح العامة . ويكفي للدلالة على سعة أشكال العطاء والعمل الخيري المنطلق من رسالة الإسلام وتنوعها وثرائها أن نورد بعضا من الآيات القرآنية الكريمة حيث يقول الله سبحانه وتعالى منوها بأشكال من العطاء والبذل ونماذج من المحسنين : ﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ (البقرة : ٢٦٧) ، ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾ (الطلاق : ٧) ، ﴿فمن تطوع خيرا فهو خير له﴾ (البقرة : ١٨٤) ، ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ (التوبة : ٧٩) ، ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (الحج : ٧٧) .

وضمن شريحة علماء الدين والشخصيات العامة يلحظ الباحث تفاوت الاجتهادات تجاه مشروع الجمعية قبولا ورفضا ، ولعل ما يخفف

(١٧) تقرير الحالة الدينية في مصر ١٩٩٥ ، مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية بالأهرام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، مصر ، ص ٢٣٣ .

من تعارض الآراء واختلافها تبعا لاختلاف الثقافات والقدرات تجاه أي مشروع إصلاحي ، الالتقاء المباشر وحصر البحث في دوائر المختصين وإنضاج الموضوع بين أهل الذكر قبل طرحه للنقاش العام بعيدا عن التحاور بالقلم والمقالات . وأحسب أن هذه المنهجية كفيلة بحسم كثير من الموضوعات وفق المعايير الفنية لا الأغراض السياسية والفكرية المسبقة ، فالجميع يبتغي الإصلاح ويخلص له وإن اختلفت السبل ، وما ينطبق على شريحة علماء الدين ينسحب على كافة الشرائح الأخرى ؛ وعلى مواقف كل شريحة من الأخرى .

وإجمالا فإن قيم العطاء والوفاء والمبادرة والأمل لدى العمل الأهلي أو المجتمع المدني الكويتي ، كما يسمى ، مازالت غنية وحية في النفوس بالقدر نفسه الذي كانت تعمر به نفوس الرواد الأوائل ، وهي بانتظار أن تستثمر وتوظف لصالح المجتمع الكويتي وتطوره .

العمل الأهلي والأوقاف

سبقت الإشارة إلى وجود ١٣٤ وقفا في الكويت وقت نشأة الجمعية . ويعتقد أن العدد أكبر من ذلك ، وأيا كان عدد الأوقاف وحجمها فقد كانت بلا شك تلبي احتياجات شرائح من المجتمع لم يتوافر لها من يقوم برعايتها . ولأهمية مساهمة الأوقاف في خدمة

المجتمع فقد نوه بها مؤسس الجمعية فرحان الخالد في كلمته التي ألقاها في حفل افتتاح الجمعية كأحد أشكال العطاء التي قدمها أهل الكويت . وإقبال أفراد المجتمع رجالا ونساء وقتها على التبرع بممتلكاتهم لتكون أوقافا على أوجه الخير والنفع العام ؛ ومنها ما أوقفه مؤسس الجمعية وإخوانه عليها وعلى أغراضها ، رغم صعوبة الظروف الاقتصادية مما يشير إلى مقدار ما يتمتع به الوقف ، كصيغة ، وأصول ، من تقدير واحترام لدى العلماء وعموم أفراد المجتمع الكويتي . هذه المكانة التي يحتلها الوقف في الوعي الاجتماعي جعلته الصيغة المثلى التي تستوعب مساهمات الأفراد في أوجه الخير ؛ وتضمن لها الاستمرار في خدمة المجتمع والأجر والثواب للمتصدق بها .

ولم يكن الوقف يحظى بالمكانة نفسها في بعض الأقطار الأخرى من العالم العربي والإسلامي ، رغم غناها بالأوقاف الأهلية والخيرية . وقد تبدلت الصورة الذهنية عن الوقف من صيغة فاعلة إيجابية لخدمة المجتمع إلى عنوان للإهمال والخراب . وقد عبر الشاعر معروف الرصافي أحسن تعبير عن واقع الأوقاف في أكثر من بلد من بلدان العالم العربي والإسلامي ، وهنا لابد من شكر الأستاذ داهي الفضلي على دلالته لنا على قصيدة الشاعر معروف الرصافي ، التي أنشدها في إحدى المناسبات التي تتصل بالأوقاف ونشرت في ديوانه حيث قال :

للمسلمين على نزورة وفرهم ... كنز يفيض غني من الأوقاف

كنز لو استشفوا به من دائهم ... لتدبروا منه الدواء الشافي

ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة ... لتثقفوا منه بخير ثقاف

ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم ... لأطارهم بقوادم وخوافي

لكنهم قد أهملوه وأعملوا ... في جانبيه عوامل الإتلاف

فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه ... تجري الرياح بها وهن سوافي

قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا ... أهل الحياة به من الإجحاف

وقفوا به عند الشروط لواقف ... وتغفلوا عن حكمة الإيقاف

تركوا له في العصر نفعاً ظاهرا ... وتعاملوا فيه بنفع خافي

لم يستجدوا فيه شيئا ، واكتفوا ... في كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيدوا بشروطه ... ماذا التوقف عند «رسم» عافي

غرسوه غرسا مثمرا ، لكن جرت ... غِيَرُ الزمان فعاد كالصفصاف

هل بين شرط الواقفين وبين ما ... نفع العموم تناقض وتنافي

أنريد أن يقفو الزمان أمورنا ... وأمورنا ، هي للزمان قوافي

الأرض مسجدنا ، ففيم مساجد ... أمست تعد اليوم بالآلاف

كـان الصـلاة بمسـجـد وبغـيـره | في الحكم واحـدة لدى الأسلاف
هلا جُـعلن مـدارسـا فـيـاضـة | من كـل علـم بالـزلال الصــافي
ينتـابهـا أبناؤكم كي يأخـذوا | من كل فـن بالـنصـيب الوافي
فيفيض فيض العلم حتى يرتوي | منه بنو الأمــصـار والأرياف
إن لم يكن شرف البلاد محصنا | بالعلم ، كـان مـهـدد الأطراف
وإذا النفوس تسافلت من جهلها | لم يعلـهـا شـمـم على الآناف
هذي الخـزانة أنشـئت فـبناؤها | لـلأمـر فـيـه تدارك وتـلاف
أيظـن ذو عـقـل بـأن بنـاءها | أمـر لشـرط الـواقـفين منافي
تالله ، ليس بمنكر تشـيـيـدها | إلا امـرؤ خــال من الإنصــاف
أحـيوا بهـا عـصـر العـلوم لدولة | خلفـاؤهـا من آل عـبـد مناف
عصر الرشيد أبي الخلائف إذ غدت | بـغــداد رافلة بمجــد ضــافي
ناديت طلاب العـلوم مـؤرخـا | حـجّـوا بناء خـزانة الأوقـاف

والبحث في أسباب ضعف دور الأوقاف وضموره له مجال آخر غير هذا الكتاب ، وهناك إجماع على أن للأوقاف مساهمات تاريخية متميزة

في مختلف المجالات أعقبها تدهور وإهمال عام طال معظم الأوقاف في العالم الإسلامي ، ومنها الكويت . وسواء كان مصدر التدهور والإهمال داخليا من مديري الأوقاف أفرادا ومؤسسات ، أو خارجيا يتمثل في مؤسسة الحكم أو أصحاب المصالح فإن التدهور طارئ عليها ولا يمس جوهر الصيغة الوقفية وصلاحيتها لاستيعاب المبادرات الأهلية ودعمها ماليا وحمايتها شرعيا وقانونيا والتفاعل معها .

ولذلك فقد آن الأوان لرد الاعتبار للأوقاف على مستوى العالم الإسلامي على الصعيدين المعنوي والمادي والعناية بها ، ولعلنا حاليا نلمس تباشير هذه المرحلة الجديدة في حياة الأوقاف وأدوارها المستقبلية .

وتتعدد المجالات التي يمكن أن تسهم فيها الأوقاف بحظ وافر : ومنها المجال العلمي حيث تمثل الحجج الوقفية ثروة علمية هائلة تصلح لأن تكون مرجعا في البحث التاريخي والجغرافي والاقتصادي والقانوني واللغوي والاجتماعي والتربوي والسكاني والإداري وغيرها . وكمؤشر على الأهمية العلمية لوثائق الأوقاف فقد نشرت الأمانة العامة للأوقاف كتيبا بعنوان (الخصائص العامة لوثائق الوقف الكويتية) قدم تحليلا لها وإطارا عاما للآفاق العلمية لدراسة هذه الوثائق . ولا نحتاج لأن نذهب بعيدا في الاستشهاد على الأهمية العلمية لوثائق الأوقاف ، فيكفي أن الاسم الرسمي للجمعية الخيرية العربية ، موضوع هذا الكتاب ، لم يعرفنا به ويحفظه لنا سوى حجة الوقف الموقوف عليها ، بينما ذكرت

المؤلفات التاريخية اسم الجمعية الخيرية فقط ، هذا إلى جانب المعلومات الوثائقية الأخرى التي حوتها حجة الوقف حول أغراض الجمعية وعنوان مقرها وغيره . وينطبق هذا المثال على كنوز الأوقاف في تركيا ومصر والشام والمغرب وغيرها .

والمجال الاقتصادي يمثل أحد المجالات التي يمكن للأوقاف أن تؤدي فيها دور بالغ الأهمية ، فأغلبيةالأوقاف التاريخية عبارة عن أصول عقارية تتوسط مراكز المدن الكبرى في العالمين العربي والإسلامي ، وللقارئ أن يتخيل القيمة الاقتصادية لها وبالتالي الإيرادات الضخمة المتوقعة منها لو أحسن استثمارها وإدارتها والعائد الضخم الذي سيوجه لمجالات العمل الأهلي التعليمية والصحية والاجتماعية والخدمية وغيرها . ويكفي أن نورد شاهدا واحدا نشرته مؤخرا جريدة (الأخبار) القاهرية في عددها رقم ١٤٠٧٨ الصادر بتاريخ ١٦/ ٦/ ١٩٩٧م جاء فيه أن دار الكتب في مصر أو ما كانت تسمى (الكتبخانة الخديوية) لها أوقاف منذ عهد الخديو توفيق عام ١٨٨٩م وهو تاريخ تأسيس دار الكتب ، وقد حددت وثيقة الوقف التي جاءت في مائة وثلاثين صفحة الأوقاف التي تبرع بها الخديوي توفيق وهي عبارة عن ١٨٠٠ فدان من أجود الأراضي الزراعية للصرف من غلتها على دار الكتب وأنها موقوفة للدار (إلى أبد الأبدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) وهذه الأراضي موزعة على ٧ محافظات من محافظات مصر .

والأوقاف في الكويت ليست استثناء في هذا المجال رغم أن حجمها لا يقارن مع مثيلاتها في القاهرة واسطنبول وغيرها .

والمجالات التي يمكن أن تسهم فيها الأوقاف كثيرة ومتعددة ، ولعل أول المستفيدين منها القطاع الأهلي بأفراده ومؤسساته وجمعياته . والقطاع الأهلي في بلداننا العربية يتكون أساسا من جمعيات النفع العام ، وجمعية النفع العام هي الصيغة المؤسسية القانونية السائدة لاستيعاب المبادرات الأهلية في مجالات عامة أو متخصصة ، ويندر أن تجد أوقافا مخصصة لهذه الجمعيات أو على أغراضها ، وتعتمد هذه الجمعيات في تمويلها أساسا على ما تقدمه الحكومة من معونة سنوية أو من اشتراكات أعضائها أو التبرعات المقطوعة التي تتلقاها ، وهذه الموارد مجتمعة لا توفر الاستقلال والاستقرار لجمعيات النفع العام لتنطلق في نشاطها لخدمة أغراضها مما يبرز الحاجة لوجود أوقاف لكل جمعية نفع عام ، والقلة القليلة من الجمعيات لديها احتياطات مالية تحت مسميات مختلفة ؛ وهي خاضعة لتصرف مجالس الإدارات بشكل مطلق ، وقد تكون صيغة الوقف هي الأنسب لها لحمايتها قانونيا وشرعيا وإداريا من التصرفات والتقلبات التي قد تتعرض لها إدارات الجمعيات . وتبرز هنا الجمعية الخيرية العربية ، موضوع كتابنا ، وهي أول جمعية نفع عام كويتية لتقدم نموذجا مؤسسيا يحتذى في المزاوجة بين الصيغة الإدارية والمالية والوقف في العمل الأهلي ، ورغم أن الكيان المؤسسي للجمعية قد اختفى قبل مرور سنة على إنشائها فإن الوقف ظلّ يؤدي دوره في الإنفاق على أغراضها المستمرة باستمرار حاجة المجتمع حتى الآن ، إذ لم يثبت حتى الآن حل الوقف أو إبطاله .

وباختصار فإن الأوقاف تمثل بالنسبة للعمل الأهلي البنك المركزي أو وزارة المالية وأن من شأن الدعوة للوقف على جمعيات النفع العام تعزيز دورها ومساهمتها في نهضة المجتمع الكويتي بما يمنحها من استقرار واستقلال هي أحوج ما تكون له للتفرغ لأعمالها وأغراضها الأساسية . ولن يتأتي ذلك إلا بوجود قانون للوقف ينظمه وينفي عنه ما أصابه من ضمور وإهمال وأن يبعد الوقف عن دائرة الصراع الفكري في المجتمع بتصنيفه على أنه صيغة دينية تاريخية لا علاقة لها بالمجتمع المدني المعاصر .

عائلة الخالد الخضير

لا يسع الباحث ، في موضوع العمل الخيري والتطوعي خلال الحقبة التي نشأت فيها الجمعية الخيرية العربية ؛ إغفال الإشارة إلى المساهمات المتميزة التي قدمها أفراد من أسرة الخضير عموما والخالد على وجه الخصوص . لذلك نجد أن مؤرخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد عند حديثه عن أقطاب النهضة في الكويت وضع عائلة الخالد في صدارة من يسارعون للخير ، وقال فيهم شعرا أثبته الشيخ عبد الله النوري في كتابه «خالدون في تاريخ الكويت» عند ترجمته لحمد الخالد الخضير ، فقد أنشد عبد العزيز الرشيد قائلا :

إن قيل من هم في الكويت	أولى المكارم والمحامـــــد
الطـــــيبون المحســـــنون	على المدارس والمســـاجد

الراحـــمون الثابتـــــون على المبادئ والمقـــاصـــد

لأجبتهم هذي الصـــفات تجمعت في آل خـــالـــد

ويقول في قصيدة أخرى :

السابقين إلى المفاخر فوقهـم سبقا لعمري شمسه لا تســـتر

فليهنكم يا آل خالد سبقكم والسبق في الخيرات فخر يذكر

ومن المفيد الإشارة إلى بعض الأعمال الرئيسة ذات الأهمية في تاريخ الكويت التي أسهم فيها أفراد من آل خالد بنصيب وافر ، فقد ساهمت عائلة الخالد في تأسيس المدرسة المباركية عام ١٩١١م حيث تبرعوا بمبلغ ٥٠٠٠ روبية ، وببيت كبير ، وضم لها بيت وقف أوقفته سبيكة الخالد ، وكما أسند إلى أسرة الخالد إدارة مالية المدرسة لمدة خمسة وعشرين عاما حتى تسلمتها دائرة المعارف ، كما أشير إلى ذلك في معرض الحديث عن تأسيس المدرسة المباركية . أما مساهمة أسرة الخالد في الجمعية الخيرية العربية فمذكورة في هذا الكتاب ، كما ساهمت أسرة الخالد في تأسيس المدرسة الأحمدية والمكتبة الأهلية وعمارة المساجد وبنائها ، ومنها مسجد اليعقوب عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٣م . وتعتبر أسرة الخالد من أكثر الأسر التي أوقفت أوقافا خيرية ، فقد أوقف حمود الخالد ستة أوقاف ؛ وكذلك فهد وعبد الله حمد الخالد وفهد خالد الخضير وذكرت هذه الأوقاف في سجل العطاء الوقفي الصادر عن الأمانة العامة للأوقاف ، وسبيكة الخالد الذي ضم

وقفها لمدرسة المباركية ، وأشهر هذه الأوقاف وقف الجمعية الخيرية العربية .

إن هذه المشاركات الفاعلة التي اتسمت بها مساهمات عائلة الخالد في بدايات النهضة في الكويت يجب أن تستمر وتتواصل في أيامنا هذه ، ومن ثم نجد أن بحثنا في الجمعية الخيرية العربية فرصة مناسبة لاقتراح أن يعاد إحياء الجمعية الخيرية العربية بأغراضها ، وتسجيلها لدى الجهات المعنية وتنمية أوقافها وفاء وإحياء ،وتخليدا لذكرى فرحان فهد الخالد وإخوانه وعطائهم ، ورمزا للمساهمة الاجتماعية العريقة والنشطة لأسرة الخالد .

إن ما ورد في هذا الفصل ما هو إلا محاولة للفهم والاستفادة ، وهناك زوايا أخرى ينظر منها للجمعية أتركها للباحثين ، وأرجو بذلك أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على تجربة الجمعية الخيرية العربية في الكويت ، هذه التجربة التي عانت من الإهمال عقودا طويلة ، داعيا المولى عز وجل أن يرحم فرحان فهد الخالد وإخوانه وكل من أسهم معهم بفكر أو بجهد أو بمال في هذا العمل الجليل ، وأن يجزيهم خير الجزاء ويتقبل منهم .

الفصل الثالث

الجمعية الخيرية العربية: معلومات وثائقية

تقديم

الجمعية الخيرية العربية أول جمعية نفع عام أسست في الكويت ، وربما الأولى في دول الخليج العربية ، وقد حققت الجمعية أكثر من سبق في مجالات الأعمال العامة منها : أن الجمعية افتتحت أول مستوصف أهلي كويتي ، وقد سبقت المستوصف الحكومي الذي تأسس عام ١٩٣٩م بما يزيد على ربع قرن ، كما أنها سبقت في المطالبة بإرسال بعثات تعليمية إلى الخارج للدراسة في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية ، وكذلك في مجال الرعاية الاجتماعية والنشاط الثقافي وتوفير المياه وغيرها . وتحققت في الجمعية الخيرية كافة التنظيمات الإدارية والمالية واللائحية المتعارف عليها ، فلها أغراض محددة ومجلس إدارة واجتماعات منتظمة ومصادر تمويل من خلال الاشتراكات والتبرعات والوقف ، شأنها في ذلك شأن جمعيات النفع العام الموجودة حاليا ، وقد تميز الكيان المؤسسي للجمعية رغم قدمها على مثيلاتها في العصر الحالي بوجود الوقف الذي ضمن لها الاستمرار في أعمالها رغم اختفاء شكلها المؤسسي .

الاسم

الاسم الدارج للجمعية هو «الجمعية الخيرية» كما ذكرته معظم المصادر الأساسية التي كتبت عن الجمعية، إلا أن وثيقة قانونية، وهي حجة وقف على الجمعية، نشرها سيف مرزوق الشملان في كتابه أعلام الكويت: فرحان بن فهد الخالد» [١٨]، أظهرت أن اسم الجمعية الرسمي هو «الجمعية الخيرية العربية».

وذكرت المصادر المسيحية في معرض تناول النشاط المعارض للتبشير المسيحي في الكويت والذي أوردنا النصوص المتعلقة بهما في الملحقين (١) و(٢) من هذا الكتاب، أن اسم الجمعية هو «الجمعية الخيرية الإسلامية الكويتية». ولعل ذلك يرجع إلى التفكير الديني لكتّاب هذه المصادر.

ولكن لماذا اختار مؤسسو الجمعية صفة «العربية» للجمعية ولم تختر أي صفة أخرى؟ لعل اختيار هذه التسمية يرجع إلى حساسية اختيار تسمية أخرى قد تفسر أو يفهم منها أن الجمعية أو مؤسسيها لهم صلة بالدولة العثمانية خارجيا، وذلك نتيجة للصراع العثماني البريطاني في هذه الفترة، أو أنها معادية للوجود التبشيري المسيحي

---

(١٨) أعلام الكويت: فرحان بن فهد الخالد، سيف مرزوق الشملان، ص ٢٠ - ٢٢.

محليا . ويضاف إلى ذلك أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك تعارض بين تسمية العربية والإسلامية فمؤداهما واحد ، فالثقافة الإسلامية التي نشأ عليها مؤسسو الجمعية من خلال مجلة المنار لمحمد رشيد رضا وغيرها كانت تدعو للوحدة العربية في وقتها أي في عام ١٩١٢ ، ١٩١٣م . ويشير إلى ذلك أحد المصادر [١٩] حيث يقول : «ويجب أن نشير هنا إلى أن دعوة رشيد رضا للوحدة العربية لا تتنافى مع دعوته للوحدة الإسلامية بحال من الأحوال ، ذلك لأن دعوته للوحدة العربية جاءت في وقت رفع فيه الأتراك الاتحاديون الدعوة الطورانية وتتريك جميع أجناس شعوب الدولة العثمانية ، فجاءت دعوة رشيد رضا للوحدة العربية ردا على ذلك» .

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن المصادر الأساسية التي ذكرت الجمعية بشيء من التفصيل هي :

- تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد .
- قصة التعليم في الكويت في نصف قرن لعبد الله آل نوري .
- أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، لسيف مرزوق الشملان .
- التقرير السنوي للمندوب البريطاني لعام ١٩١٣م .

---

(١٩) رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، محمد بن عبد الله السلمان ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ص ٤٢٩ .

- الكويت قبل النفط (مذكرات د . ستانلي ميلريا) .

- مجلة جزيرة العرب المهملة Neglected Arabia .

لقد اعتمدت هذه المصادر في معلوماتها على النقل ، ولم يعايش مؤلفوها نشأة الجمعية رغم معاصرة بعضهم لها مثل عبد العزيز الرشيد والمندوب البريطاني ، مع احتمال اطلاعهم على منشورها الذي وزعته ، والذي نقل عنه عبد الله النوري الغرض من إنشائها [٢٠] .

تاريخ تأسيس الجمعية ومدة بقائها

ذكر مصدران من المصادر التي كتبت عن الجمعية تاريخين مختلفين لافتتاح الجمعية ؛ المصدر الأول هو كتاب المؤرخ سيف مرزوق الشملان [٢١] ، حيث رجح في كتابه أن تاريخ افتتاح الجمعية الخيرية العربية هو ١٠ من ربيع الثاني ١٣٣١ هـ الموافق ١٧ من مارس ١٩١٣م ، واستنتج ذلك التاريخ اعتمادا على ما ذكره المؤرخ عبد العزيز الرشيد من أنها افتتحت في ربيع الثاني ١٣٣١ هـ ؛ والمصدر الثاني هو تقرير المندوب البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير لعام ١٩١٣م [٢٢] ، حيث قال (. . . تم افتتاح جمعية خيرية في فبراير . . .) .

---

(٢٠) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٥٨ .

(٢١) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٣٦ .

(٢٢) التقارير الإدارية للخليج ، ١٨٧٣ـ١٩٤٧ ، المجلد السابع ، تقرير عام ١٩١٣ ص ١٢٦ (إنجليزي) .

والذي أعتقده وأرجحه أن تاريخ تأسيس الجمعية هو في ١٢ من ربيع الأول ١٣٣١هـ ويصادف ذكرى المولد النبوي الموافق ١٨ من فبراير ١٩١٣م لعدة وجوه منها :

١- أن المؤرخ عبد العزيز الرشيد لم يشهد نشأة الجمعية وإعلان تأسيسها لكونه في ذلك الوقت في المدينة المنورة كما ذكر ذلك الدكتور يعقوب الحجي في كتابه عن عبد العزيز الرشيد [٢٣] وبالتالي فقد اعتمد على أفواه النقلة وأخبار الرواة كما قال في مقدمة كتابه «تاريخ الكويت» .

٢- اقتران ذكرى كل من المولد النبوي والهجرة من كل عام في تلك الفترة بتأسيس عمل أو جمعية أو مؤسسة ، ترجمة للرغبة في النهوض بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي ينادي به المصلحون الاجتماعيون . ففي ذكرى المولد النبوي من عام ١٣٢٩ هـ الموافق ١٩١١م تمت الدعوة لتأسيس المدرسة المباركية وتم افتتاحها في ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم في ١ من المحرم ١٣٣٠ هـ . وفي ذكرى المولد النبوي من عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢م أسس الشيخ محمد رشيد جمعية الدعوة والإرشاد بمصر وسافر بعدها مباشرة إلى الهند ثم عمان وبعدها إلى الكويت التي وصلها في ٢٢ من جمادي الأولى ١٣٣٠هـ الموافق ٩ من مايو ١٩١٢م ،

(٢٣) الشيخ عبد العزيز الرشيد سيرة حياته ، د . يعقوب يوسف الحجي ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، ١٩٩٣م ، الكويت ، ص ٥١ وما بعدها .

وسنوضح لاحقا دور الشيخ محمد رشيد رضا في الدعوة إلى تشكيل جمعيات خيرية لمواجهة التبشير المسيحي .

٣- إن التقرير السنوي للمندوب البريطاني أدق وأصح في إيراد التاريخ لمعايشته الأحداث وحرصه على متابعتها وتوثيقها في سياق عمله ومهامه الرسمية ، وقد ذكر أن التأسيس حدث في فبراير .

٤- إن تواريخ الوثائق التي نشرها المؤرخ سيف مرزوق الشملان ترجح أن التأسيس تم في ١٢ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ١٨ من فبراير ١٩١٣م . فوثيقة الدعوة لأعضاء الجمعية لحضور اجتماع لها في ٣ من ربيع الأول الموافق ٩ من فبراير أي قبل التأسيس بفترة وجيزة تتلاءم ومنطق الإعداد لإعلان تأسيس الجمعية ، والوثيقة الأخرى وهي خطاب لأحد معارضي الجمعية وهو مؤرخ في ١٣ من ربيع الثاني الموافق ٢٠ من مارس تؤكد أيضا أن التأسيس تم في ١٨ من فبراير ، وأعقب التأسيس فترة أخرى تم خلالها نشر أخبار الجمعية في إحدى الصحف كما جاء في الرسالة ، ولو كان تاريخ تأسيس الجمعية في ١٧ من مارس ١٩١٣م الموافق ١٠ من ربيع الثاني ١٣٣١ هـ كما ذكر سيف الشملان لتعذر التوفيق بين تواريخ هذه الوثائق وتاريخ تأسيس الجمعية .

واستمرت الجمعية في أداء رسالتها إلى ما بعد وفاة مؤسسها ورئيسها فرحان فهد الخالد الخضير في المحرم ١٣٣٢هـ الموافق ديسمبر

١٩١٣م . وقد تولى رئاسة الجمعية بعده أخوه أحمد فهد الخالد الخضير [٢٤] وهو أحد أعضائها وأحد الذين شاركوا في تأسيسها وأوقفوا عليها وقفا من أملاكهم . ويستدل على أن الجمعية قد أغلقت أبوابها قبل ١٥ من يناير ١٩١٤م من تاريخ كتابة المندوب البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير لتقريره السنوي عن عام ١٩١٣م ، فمما قاله في نهاية ذكره للجمعية كما ورد في التقرير « . . . لم تكن الجمعية منذ نشأتها محل ترحيب من كبار السن في المدينة ، الذين قالوا إنه يجب استشارتهم ، لذلك لم يكن انهيارها مبعثا لدهشة كبيرة» [٢٥] .

بذلك تكون الجمعية قد عمرت أحد عشر شهرا تقريبا ، وليس كما ذكر سيف الشملان في كتابه عن مؤسس الجمعية بأنها عمرت عشرة أشهر [٢٦] .

أعضاء الجمعية والعاملون فيها

تفرد الشملان في كتابه «أعلام الكويت» بذكر أسماء بعض أعضاء الجمعية والعاملين فيها ، وجاء ذكرهم متفرقا غير منظم ، مما لا يستبعد معه أن يكون هناك أعضاء آخرون لم تذكر المصادر أسماءهم .

(٢٤) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٧٩ .
(٢٥) التقارير الإدارية للخليج ـ تقرير عام ١٩١٣ ص ١٢٧ .
(٢٦) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٤٤ .

وأعضاء الجمعية المذكورون سبعة [٢٧] ، فيما يلي أسماؤهم :

١- فرحان فهد الخالد الخضير

رئيس الجمعية الأول ومؤسسها .

٢- أحمد فهد الخالد الخضير

رئيس الجمعية الثاني .

٣- علي بن شملان عضو .

٤- محمد بن شملان عضو .

٥- علي إبراهيم الكليب عضو .

٦- مشاري عبد العزيز الكليب

سكرتير الجمعية .

وقد ظهر من الدعوة الموجهة لاثنين من أعضاء الجمعية لحضور اجتماع في ٣ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ٩/ ٢/ ١٩١٣م وهما محمد وعلي بن شملان أن هناك أعضاء آخرين .

ومن الأصدقاء الملازمين لمؤسس الجمعية ورئيسها فرحان الخالد كل من مشاري الحسن البدر ، ومرزوق الداود البدر ، ولا يستبعد أن يكونا من أعضاء الجمعية رغم عدم وجود ما يثبت أو ينفي ذلك ، ويبدو أنهما

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٦ .

اللذان حفظا كتب الجمعية وقدماها للمكتبة الأهلية عند تأسيسها [٢٨] .
والملاحظ أن كافة أعضاء الجمعية هم من الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم ٣٥ عاما ، ولعل هذا أحد عوامل اندفاعهم في تأسيس الجمعية متأثرين بما طالعوه وعرفوه من خلال الزيارات والمجلات التي يطلعون عليها كالمنار وغيرها .

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن الشيخ عبد الله الخلف الدحيان عالم الكويت ، الذي تحدث في افتتاح الجمعية وحث الناس على دعمها ، والذي كتب وشهد على حجة الوقف الذي أوقفه مؤسسو الجمعية عليها ، كان قريبا لهم في السن ، إذ كان عمره لا يتجاوز ٣٨ عاما عند تأسيس الجمعية عام ١٩١٣م ، ذلك لأنه من مواليد عام ١٨٧٥ [٢٩] .

ومما يؤكد أن أعضاء الجمعية من الشباب ما ذكره المندوب البريطاني الكابتن شكسبير في تقريره عن عام ١٩١٣م حيث قال « . . . . بمباركة من الشيخ ناصر بن مبارك قام بعض الشباب العرب من ذوي التطلعات المزعومة نحو التطور بافتتاح جمعية خيرية في فبراير . . .» [٣٠] .

---

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٢٩) علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان ، محمد بن ناصر العجمي ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ١٩٩٤م ، ص ٢٦ .
(٣٠) التقارير الإدارية للخليج ـ تقرير عام ١٩١٣ ، ص ١٢٦ .

مؤسس الجمعية

ومن المهم في هذا السياق إيراد ترجمة مختصر لحياة مؤسس الجمعية فرحان فهد الخالد الخضير من خلال النتف المتناثرة في كتاب المؤرخ الشملان .

ولد فرحان في الكويت عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨٠م [٣١] ودرس في الكتاتيب الأهلية ، وكان من مدرسيه عبد اللطيف ابن الشيخ العمر ، حيث تعلم القراءة والكتابة وكان خطه جميلا كما يظهر من رسائله . وكان فرحان كثير القراءة للكتب والمجلات التي اشتركت فيها أسرته [٣٢] . ومنها مجلة المنار المصرية لصاحبها محمد رشيد رضا وجريدة المؤيد [٣٣] . ويبدو أن فرحان قد حضر دروس الشيخ محمد رشيد رضا الذي زار الكويت لمدة أسبوع اعتبارا من ٩ من مايو ١٩١٣م الموافق ٢٢ من جمادى ١٣٣٠هـ (٣٤) ، وكان الشيخ «يلقي خطابا وعظيا في أكبر مساجد البلد كل يوم ـ ما عدا يوم البريد ـ فيكتظ الجامع بالناس ، وكان يحضر مجلسه هذا كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم . .» [٣٥] وقد ذكرنا كيفية تأثر فرحان الخالد بالمنار وصاحبها عند الحديث عن البيئة التي نشأت فيها الجمعية ، وعقد مع العديد من

---

(٣١) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٤٨ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٣٣) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٥٢ .

(٣٤) التقارير الإدارية للخليج ، تقرير عام ١٩١٢م ، ص ١١٣ .

(٣٥) مجلة المنار ، مصر ، المجلد ١٦ ، ١٩ جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٧ مايو ١٩١٣م ، ص ٣٩٨ .

الشباب نادي أدب كما أوردت ذلك مجلة لغة العرب في رمضان ١٣٣٠ هـ الموافق سبتمبر ١٩١٢م ، وهناك ما يشير إلى وجود فرحان الخالد في الكويت في ١٣ يوليو ١٩١٢م الموافق ٢٩ رجب ١٣٣٠ هـ [٣٦] ، وقد سافر فرحان قبل تأسيس الجمعية أكثر من مرة لأنه يعمل في التجارة ، حيث أدى فريضة الحج عام ١٣٢٨ هـ الموافق ١٩١٠م وزار المدينة أيضا بعد الحج . وقد عاد إلى الكويت قبل ٢١ من ربيع الأول ١٣٢٩ هـ الموافق ٢١ من مارس ١٩١١م ،كما سافر إلى البصرة حيث كان موجودا فيها في ١٨ من نوفمبر ١٩١٢م الموافق ٩ من ذي الحجة ١٣٣٠ هـ [٣٧] .

ولا يستبعد أن يكون فرحان قد زار الهند بحكم عمله في تجارة اللؤلؤ قبل تأسيسه للجمعية ، وقد زارها للعلاج من المرض الذي أفضى إلى وفاته في المحرم ١٣٣٢ هـ الموافق ديسمبر ١٩١٣م رحمه الله تعالى . وقد عرف عن فرحان سعيه للخير ، وظهر ذلك من خلال موقفه من قضية صرف الريال الفرنسي الذي تضرر منه الغواصون ونظرا لسعيه فقد صرف ريال ماري تريزا بنفس سعر الصرف في السوق [٣٨] . وكان فرحان له إلمام بالنواحي السياسية ، وكان اتجاهه إسلاميا وطنيا ،

(٣٦) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ١٠٢ .
(٣٧) المرجع السابق ، ص ٥٢ .
٣٨) سير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية ، خالد سعود الزيد ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٣م ، ص ٨٩ ، نقلا من مجلة البعثة العدد الثاني ـ السنة الثالثة ـ فبراير ١٩٤٩ بقلم محمد ملا حسين .

كما كان معجبا بالزعيم المصري مصطفى كامل باشا المتوفي عام ١٩٠٨م [٣٩] .

وقد كان فرحان «قويا بالله متين الدين محبا للتعاون داعية إلى الخير وإلى التنظيم والإصلاح» [٤٠] .

وفي حفل افتتاح الجمعية خطب فرحان الخالد قائلا بعد مقدمة طويلة أورد فيها آيات كريمة وأحاديث تحث على أعمال الخير والتعاون على التقوى (ولا يخفى عليكم أن أسلافكم رحمهم الله مع عدم امتدادهم في الوقت عمروا المساجد وأوقفوا الأوقاف وهذه أعمالهم بين ظهرانيكم تشهد لهم ، وأنتم خلف من سلف ، فلا تكونوا أدنى منهم ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، ومن فضل الله أنه سبحانه قد أفاض عليكم نعمه في زمن أميركم المحبوب ، مبارك الاسم ، ميمون الطالع ، مولانا الشيخ مبارك الصباح المشهود له مع أنجاله الكرام بالعدل والإنصاف وحبهم الخير ومساعدة الوطن والرعية ، أعزهم الله على أعدائهم ووفقهم وهداهم ، فعليكم أيها الإخوان بالتعاون على البر والتقوى ، واعلموا أن هذه أول جمعية خيرية في بلدنا لمساعدة إخواننا من الفقراء والمساكين والأيتام . . . الخ) . وقد أثبت هذا الجزء من الخطبة المؤرخ عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت [٤١] تخليدا لذكر فرحان

(٣٩) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٤٨ .
(٤٠) سير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية ، ص ٨٩ .
(٤١) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٧٣ .

الخالد واعترافا بفضله وغيرته كما ذكر .

العاملون في الجمعية

تنفيذا لأغراض الجمعية باستقدام محدث فاضل وطبيب وصيدلي مسلمين فقد استدعت الجمعية كلا من :

١- الشيخ محمد أمين الشنقيطي .

٢- الدكتور أسعد أفندي .

٣- صيدلي تركي غير معروف الاسم [٤٢] .

وقد تدارست الجمعية استدعاء مساعد الجراح (طبيب) داود الرحمن خان ، الذي كان مسؤولا عن الشؤون الطبية في مستوصف المندوبية البريطانية خلال الفترة من ١٩٠٤م-١٩٠٧م ، وكان يحظى باحترام أهالي البلد وذلك قبل استدعاء الطبيب أسعد أفندي من البصرة بمعرفة الشيخ مبارك [٤٣] .

متطوعو الجمعية

وقد تطوع للعمل في الجمعية العديد من الشباب ذكرت المصادر

(٤٢) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٤٤ .
(٤٣) التقارير الإدارية للخليج - تقرير عام ١٩١٣م ، ص ١٢٧ .

منهم كلا من :

١- سلطان بن إبراهيم الكليب عمل ممرضا [٤٤] .

٢- مساعد بن عبد العزيز الكليب

عمل مضمدا في مستوصف
الجمعية تطوعا .

٣- عبد الحميد بن عبد العزيز الصانع

عمل مضمدا في مستوصف
الجمعية تطوعا [٤٥] .

وقد يكون هناك غيرهم ممن لم ترد أسماؤهم فيما كتب عن الجمعية .

مشجعو الجمعية

تحمس للجمعية العديد من الشخصيات المعروفة في الكويت وذكرت المصادر منهم :

١- الشيخ ناصر بن مبارك الصباح .

٢- الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان .

---

(٤٤) خالدون في تاريخ الكويت ، عبد الله النوري ، ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨ ، ص ٣٦ .
(٤٥) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٧٨ .

وكان للشيخ ناصر دور في التشجيع على تأسيس الجمعية كما ذكر ذلك المندوب البريطاني الكابتن شكسبير . وذكر المؤرخ الشملان نقلا عن الشيخ عبد الله الجابر الصباح أن الشيخ ناصر «حضر حفل افتتاح الجمعية وألقى كلمة قصيرة في الحفل حبذ (فيها) هذا العمل وحث عليه ، وسمعت أنه تبرع للجمعية» (٤٦)

أما الشيخ عبد الله خلف الدحيان عالم الكويت فقد خطب في حفل افتتاح الجمعية (٤٧) ، كما قام بكتابة حجة الوقف الخاصة بالجمعية والشهادة عليها (٤٨) بصياغتها الراقية خطا ومحتوى مع وجود القاضي وقتها محمد عبد الله العدساني الذي يتولى عادة كتابة حجج الوقف .

وذكر الشيخ عبد الله النوري عند ترجمته للشيخ الدحيان في كتابه «خالدون في تاريخ الكويت» (٤٩) ما نصه : « . . . ووقف المرحوم الشيخ عبد الله بن خلف مع مؤسسيها موقف المحرك والمشجع . كانت أعمال الخير أعمالا فردية . . ورأى ـ رحمه الله ـ في تأسيس الجمعية الخيرية تنظيما لهذا الخير وإعطاءه صورة الاستمرار ، علاوة على أن إنشاءها سيمكنها من تقديم الكثير من العون للفقراء ، فوقف بكل جهده يساند إنشاءها ويحث عليه حتى رأى هذا المشروع العظيم النور ،

---

(٤٦) أعلام الكويت ، فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٣١ .
(٤٧) تاريخ الكويت : عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٧٣ .
(٤٨) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٢٢ .
(٤٩) خالدون في تاريخ الكويت ، عبد الله النوري ، ذات السلاسل ، ١٩٨٨ ، ص ٧٤ .

وكم كانت سعادته بذلك كبيرة حين وقف يفتتح بكلامه الجمعية

معارضو الجمعية

كأي جديد على مجتمع ألف نمطا معينا من الحياة تعرضت الجمعية لمعارضة من بعض الكويتيين . وقد أشار العديد من المراجع إلى وجود معارضة للجمعية منذ بداية تأسيسها . فذكر عبد الله النوري [٥٠] : «أن أحد أسباب إقفال الجمعية وشاية بعض من لاخلاق لهم لدى المرحوم الشيخ مبارك الصباح . .» .

وجاء في التقرير السنوي للمندوب البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير ، كما مر سابقا ، أن الجمعية منذ نشأتها لم تحظ بالقبول من قِبَل كبار السن في المدينة ، الذين قالوا إنه كان يجب استشارتهم .

وتميز سيف مرزوق الشملان في كتابه بإيراد نص رسالة لأحد معارضي الجمعية وهو إبراهيم إسحاق [٥١] ، وهو من رجال الكويت المعروفين ومن المتدينين . ولابد أنه كان هناك معارضون آخرون ، وسنورد في الملاحق نص الرسالة ، كما أنه من المفيد الاطلاع علي البيئة الثقافية والاجتماعية في الكويت في الوقت نفسه ، كما نشر بعض

(٥٠) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٥٩ .
(٥١) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

أخبارها المؤرخ عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت لاسيما الصفحات ٣٤٥ وما بعدها . وقد أشار المندوب البريطاني في تقريره عن عام ١٩١٠ إلى أن الشيخ مبارك سجن في يناير خمسة عشر شخصا من أصحاب المحلات لاشتراكهم في جدل حول قضايا دينية . ومما يلقى بعض الضوء على البيئة الثقافية ما ذكر حول المنهج التعليمي في المدرسة المباركية والخلاف حوله [٥٢] ولعل إحجام العديد من الشخصيات المشهود لها بعمل الخير سعيا وإنفاقا عن المشاركة في أعمال الجمعية الخيرية أحد المؤشرات على وجود خلاف حول الجمعية ، ومن هذه الشخصيات المصلح المعروف الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي لم يشر إليها في كتابه المعنون (صفحات من تاريخ الكويت) [٥٣] ، ويستشف من صيغة حجة الوقف الخاص بالجمعية تشكك مؤسسيها في استمرارها ، إذ جاء في نصها « . . وإن لم ينتظم أمرها لا قدر الله ذلك . . » [٥٤]

---

(٥٢) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت ، د . نجاة عبد القادر الجاسم ، شركة كاظمة للنشر ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص ٢٩ .

(٥٣) صفحات من تاريخ الكويت ، يوسف بن عيسى القناعي ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٨م .

(٥٤) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٢١ .

أغراض الجمعية وإنجازاتها

أورد الشيخ عبد الله النوري أغراض الجمعية [٥٥] ، نقلا عن نص المنشور الذي وزعته وجاء فيه :

«الغرض من جمعيتنا هو :

١- إرسال طلاب العلم إلى الجامعات الإسلامية في البلاد العربية الراقية وبذل ما يقتضي لهم من مصروفات في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية .

٢- جلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم .

٣- جلب طبيب وصيدلي مسلمين لمداواة الفقراء المساكين وإعطائهم العلاجات المقتضية لذلك مجانا .

٤- توزيع الماء الذي هو من أهم حاجيات بلدتنا هذه .

٥- تجهيز موتى المسلمين الفقراء والغرباء» .

وذكر عبد العزيز الرشيد الأغراض نفسها تقريبا في تاريخ الكويت [٥٦] مع تعديلات يسيرة أهمهاما يتعلق بالغرض الأول للجمعية ، حيث ذكره كالتالي :

---

(٥٥) التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ذات السلاسل ، الكويت ص ٥٨ .
(٥٦) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٧٣ .

١- إرسال طلاب العلوم الدينية إلى الجامعات الإسلامية في البلاد العربية الراقية كمصر وبيروت ودمشق وغيرها من أمهات المدن العربية وبذل ما يقتضي لهم من المصروفات في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية .

وتتطابق أغراض الجمعية المذكورة في ترجمة فرحان الفهد الخالد التي نشرها محمد ملا حسين في البعثة عام ١٩٤٩م [٥٧] مع ما أورده المؤرخ عبد العزيز الرشيد .

وأشار الشيخ عبد الله النوري إلى أن الغرض الحقيقي من وراء إنشاء الجمعية هو مقاومة التبشير المسيحي في الكويت [٥٨] ، وقد أكد المؤرخ سيف مرزوق الشملان ما ذهب إليه الشيخ النوري اعتمادا على «ما سمعه من رجال يوثق بهم نظرا لأن المرحوم فرحان متدين وكذلك أصحابه الذين ساعدوه كانوا مثله في التدين والتقوى . .» (٥٩) ومصداقا لذلك ذكر المؤرخ الرشيد أنه أسلم في إبان فتحها رجال من اليهود ورجال من النصارى قامت الجمعية بإيوائهم وشد عضدهم خير قيام» [٦٠] . وقد أكدت المصادر الإسلامية والمسيحية صحة ذلك ، وقد أثبتنا النصوص الواردة في هذه المصادر في ملاحق الكتاب ، وقد تطرقنا

---

(٥٧) سير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية ، خالد سعود الزيد ، ص ٨٨ .
(٥٨) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٥٧ .
(٥٩) أعلام الكويت : فرحان بن فهد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٧٧ .
(٦٠) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٧٤ .

إليها سابقا ، عند الحديث عن البيئة الاجتماعية التي أفرزت الحاجة إلى إنشاء مثل هذه الجمعية وإلى وجود التبشير المسيحي في الكويت منذ عام ١٩١٠م .

ومن الأعمال والإنجازات التي قامت بها الجمعية ما أورده المؤرخ الشملان عن ذلك [٦١] ؛ حيث قال :

«الجمعية الخيرية على صغر سنها ، نحو عشرة شهور تقريبا (الصحيح أحد عشر شهرا) ، وعلى قلة إمكانياتها حيث تعتمد على المتبرعين لها من الأعضاء والمحسنين ، وعلى نظرة المجتمع لها في ذلك الوقت قامت بأعمال طيبة لخدمة الكويت والمواطنين وبخاصة الفقراء والمساكين والغرباء أيضا ، وهذه أعمال الجمعية كما استطعت حصرها :

١- المستوصف : افتتحت الجمعية مستوصفا صغيرا لعلاج المواطنين مجانا ، وهو أول مستوصف يؤسس في الكويت من قبل الأهالي ، وأحضروا من البصرة طبيبا تركيا للعمل في المستوصف وهو الدكتور أسعد أفندي ، ومعه صيدلي تركي لم يعرف اسمه . ويعتبر الدكتور أسعد أول طبيب جاء إلى الكويت من قبل الأهالي ، ويعتبر إنشاء المستوصف من أجَلّ الأعمال التي قامت بها الجمعية ، نظرا لحاجة الكويت الماسة إلى مثله حيث لم يكن يوجد وقتها سوى المستشفى الأمريكاني (الصحيح هو مستوصف الإرسالية العربية) وكان في بداياته ، ومستوصف دار الاعتماد البريطانية ، وهو

---

(٦١) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٤٤ ـ

مستوصف صغير ، وقد تطوع بعض الشباب الكويتي للعمل بالمستوصف الذي أسسته الجمعية ممرضين ومضمدين كما سبقت الإشارة لذلك (وذكر الكابتن شكسبير في تقريره لعام ١٩١٣ م أنه تم شراء أدوية وأدوات جراحية من بومبي بمبلغ ٥٠٠٠ روبية وقام بشرائها الدكتور أسعد أفندي) .

٢- المكتبة : جمعت الجمعية الكتب من الأهالي وحفظتها في مقرها ، وكذلك اشتركت في بعض الصحف وبخاصة صحف البصرة ليطلع أعضاء الجمعية وغيرهم على الأحداث العالمية . وبعد إغلاق الجمعية حفظت الكتب لدى بيت آل بدر ومثلت نواة المكتبة الأهلية التي شارك في تأسيسها بعض العاملين بالجمعية عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٢م .

٣- الواعظ : استقدمت الجمعية الشيخ محمد أمين الشنقيطي الذي قدم إلى الزبير من مصر (ووصل إلى الكويت بعد مارس ١٩١٣م ، وبقي فيها إلى ما بعد أبريل ١٩١٥م [٦٢] حيث غادرها ، وكان يلقي الأحاديث الدينية في المساجد والجوامع ويحث الناس على العمل والأخذ بأسباب الحضارة .

٤- تعليم الأميين : افتتحت الجمعية في مقرها صفا لتعليم الأميين القراءة والكتابة ، وكان يشرف على التعليم وعلى إلقاء الدروس الشيخ محمد الشنقيطي .

((٦٢) التقارير الإدارية للخليج ، تقرير عام ١٩١٥ ، ص ٥٢ .

٥- (جلب) الماء : أخذت الجمعية تجلب الماء من شط العرب في البصرة بواسطة سفينة شراعية (بوم) ، وتوزع الماء مجانا على الفقراء والمساكين ، وكانت الكويت في ذلك الوقت تعاني أشد المعاناة من جراء نقص الماء ولاسيما الفقراء من أهلها . (وأشار المندوب البريطاني الكابتن شكسبير في تقريره لعام ١٩١٣م إلى أن الأمطار التي هطلت على الكويت في العام السابق كانت قليلة مما زاد من حدة الحاجة إلى الماء ، كما أن هبوب رياح شمالية قوية استمرت لعشرة أيام في بداية شهر أغسطس تسبب في منع وصول أي مركب محمل بالمياه إلى الكويت ، مما أدى إلى حدوث عطش ، لذا أعتقد أن الجمعية قامت بدور هام في التخفيف من معاناة الفقراء من العطش في سنة وجودها) .

٦- تجهيز الموتى وتكفينهم : قامت الجمعية بالإسهام في تجهيز أموات المسلين الفقراء والغرباء وتكفينهم ، وعملت لكل مسجد سريرا (نعشا) للموتى كتبت عليه اسم المسجد .

٧- أعمال أخرى : ذكر محمد ملا حسين في ترجمته لفرحان الخالد المنشورة في مجلة البعثة أعمالا قامت بها الجمعية حيث قال «اهتمت بصفة خاصة بالحالة الاجتماعية وتحسينها وإصلاح ما فسد وتعمير المساجد وإتمام نواقصها ، كما اهتمت بالأخذ بيد الضعيف» . أ . هـ .

ومما يؤكد هذا الغرض ما جاء في حجة الوقف الخاص بالجمعية حيث ذكر « . . وإن لم ينتظم فيها أمر التعليم بأن لم يحصل عالم يرجى بإقامته فيها النفع للدين والدنيا معا ، فيؤجرها الناظر جميعا ويصرف غلتها إلى فقراء الكويت المحاويج العاجزين عن تعاطي الأسباب المعاشية . .» (٦٣) .

٨- رعاية المسلمين الجدد : نظرا لسعي الجمعية لمقاومة التبشير المسيحي ، فقد دخل الإسلام عدد من اليهود والنصارى ، كما سبقت الإشارة إليه ، حيث قامت الجمعية برعايتهم ومساعدتهم ، ويعد ذلك أحد إنجازاتها ، وقد ذكر ذلك المؤرخ عبد العزيز الرشيد .

مقر الجمعية

ذكرت المصادر أكثر من مقر للجمعية ، فقد ورد في الدعوة التي وجهها سكرتير الجمعية مشاري الكليب إلى أعضائها للاجتماع في يوم ٣ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ أنه سيعقد في محل الجمعية في عمارة عبد الوهاب القناعي سابقا (٦٤) . وجاء في حجة الوقف الذي أوقفه مؤسس الجمعية وإخوانه أنه عبارة عن بيت وعمارة كائنة في محلة سعود لتكون مقرا يجلس فيه أعضاؤها من بين أغراض أخرى (٦٥) ، وذكر المقر نفسه عبد الله النوري (٦٦) قائلا «افتتحت الجمعية الخيرية في المحل الذي كان

(٦٣) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٢١ .
(٦٤) المرجع السابق ، ص ٣٧ . والعمارة محل كبير تباع فيه متطلبات السفن وأغراض البناء والأنشاء .
(٦٥) المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٦٦) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٥٧ ، ٥٩ .

ملحقا بالمدرسة الأحمدية المقابل لها من الجهة الجنوبية والذي يسكنه مفتش المعارف سابقا في محلة السعود» .

وزاد في وصف بناية الجمعية بأنها «مؤلفة من طابقين الطابق الأعلى للطبيب والصيدلية والطابق الأسفل للواعظ المرشد وطلابه وللمكتبة» .

ومن مقارنة تاريخي الأثرين يبدو أن الجمعية اتخذت مقرا مؤقتا في بداية تأسيسها في ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣م ، ثم انتقلت إلى مقرها الدائم الذي أوقفه مؤسسها وإخوته في ١ من ذي القعدة ١٣٣١ هـ الموافق ١ من أكتوبر ١٩١٣م .

وذكر المؤرخ الشملان [٦٧] «أن مقر الجمعية يقع في الحي القبلي بمحلة سعود قرب بيت أسرة آل خالد (البيت العود الكبير)» .

الموارد المالية للجمعية

كانت الجمعية تعتمد في ميزانيتها على الاشتراكات والتبرعات المالية التي ترد من أعضائها ومن المحسنين إضافة إلى التبرعات العينية من الكتب . ذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد [٦٨] «أنه جمع لها في أول الأمر كمية وافرة من أموال المحسنين وكثيرا من الكتب النافعة» . وذكر

---

(٦٧) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ١٩ .
(٦٨) تاريخ الكويت عبد العزيز الرشيد ص ٣٧٣ .

المندوب البريطاني الكابتن شكسبير [٦٩] ببعض التفصيل جانبا من الإيرادات المالية للجمعية حيث قال «تم جمع ما يزيد على ٢٠٠٠ روبية ، كما تم التبرع ببيت لها ، وقد تم تحديد الاشتراك في الجمعية للراغبين بمبلغ لا يقل عن ٦ روبيات لكل مشترك وقال بعدها : إنه تم شراء أدوية ومعدات جراحية بمبلغ ٥٠٠٠ روبية من بومبي» .

ويبدو أن مؤسسي الجمعية وأعضاءها تولوا توفير القسط الأكبر من احتياجات الجمعية المالية ، وإلى ذلك يشير المورخ الشملان [٧٠] حيث يقول إن أحمد فهد الخالد رئيس الجمعية الثاني بعد وفاة مؤسسها قد «بذل من وقته النفيس وماله في إصلاحها ما أطلق ألسنة الناس بشكره» .

والمبالغ المذكورة ليست بالكبيرة قياسا على الوضع الاقتصادي الجيد الذي شهدته الكويت في الأعوام الثلاثة السابقة لتأسيس الجمعية منذ ١٩٠٩م حتى ١٩١٢م بسبب جودة مواسم الغوص ، وليست بالكبيرة أيضا مقارنة بما جمع للمدرسة المباركية عام ١٩١١م من تبرعات وصلت إلى ٧٧٥٠٠ روبية [٧١] . والتبرعات التي حصلت عليها الجمعية هي بلاشك أعلى من الرقم الذي ذكره المندوب البريطاني ،

---

(٦٩) التقارير الإدارية للخليج ، تقرير عام ١٩١٣م ، ص ١٢٦ ,١٢٧ .

(٧٠) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٨٠ نقلا عن المؤرخ عبد العزيز الرشيد في تاريخ الكويت ص ٢٩٣ (غير موجودة في طبعة ١٩٧٨م) .

(٧١) صفحات من تاريخ الكويت ، الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، ص ٤٤ .

وأعتقد أن المعارضة التي لقيتها الجمعية من بعض الشخصيات المعروفة قد ساهمت في انخفاض مواردها المالية .

إلا أن أكبر وأهم تبرع حصلت عليه الجمعية الخيرية كان بيت وقف أوقفه مؤسسها وإخوانه ، وهو المبنى الذي اتخذته مقرا لها ولعيادة الطبيب ولسكن الواعظ وتدريسه ، وفيما يلي تفصيل ذلك :

وقف الجمعية

في أول ذي القعدة ١٣٣١ هـ الموافق ١ من أكتوبر ١٩١٣م أوقف مؤسس الجمعية الخيرية وإخوته أحد أملاكهم ، وقد حفظ لنا المؤرخ الشملان [٧٢] صورة حجة الوقف ، وهي وثيقة هامة أظهرت الاسم الرسمي للجمعية ، وفيما يلي نص الوثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من أراد به خيرا لفعل الخيرات وعمل القربات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالآيات البينات . وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات . أما بعد : فإن المقتضى لكتابة هذه الأحرف هو أنه لما كان الوقف من أفضل الطاعات وأجل القربات وأنه من الأعمال المنجية ، والصدقة الجارية رغب فيه حضرات الفضلاء الأماجد وهم أحمد وفرحان وعلي أولاد المرحوم

---

(٧٢) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، يوسف مرزوق الشملان ، ص ٢٠ ،

بكرم الله فهد الخالد الخضير ، وسابقوا إليه ، فوقفوا كلهم جميعا وحبسوا وسبلوا ما هو ملكهم وتحت تصرفهم ، وهي الدار العامرة أرضها وبناؤها ، وما كان متصلا بها لمصلحتها ، وهي قسمان بيت وعمارة بحسب عرفنا والكائنة في محلة سعود التي هي أحد محلات الكويت المحدودة قبلة الطريق النافذ وشمالا شاطئ البحر وشرقا وجنوبا عمارة إبراهيم بن حسن الشطي وبيته ، وقف كل من أولئك المذكورين هذه الدار المحدودة المشتملة على القسمين البيت والعمارة على الجمعية الخيرية العربية التي تألفت في الكويت في أوائل هذه السنة ببركة سعيهم المشكور ، ضوعفت لهم الأجور ، على أن تكون مستشفى للمرضى ، ومحلا لعيادة الطبيب المسلم ، وأن يجلس فيها أعضاؤها وإن لم ينتظم أمرها لا قدر الله ذلك ، فقد شرطوا أن الناظر عليها ينصب في أحد قسميها عالما صالحا يدرس فيه العلوم النافعة ويؤجر القسم الآخر ويدفع إليه أجرته . وإن لم ينتظم فيها أمر التعليم بأن لم يحصل عالم يرجى بإقامته فيها النفع للدين والدنيا معا ، فليؤجرها الناظر جميعا ويصرف غلتها إلى فقراء الكويت المحاويج العاجزين عن تعاطي الأسباب المعاشية بعد الإنفاق عليها ما تحتاجه من الترميم بإقامة المائل وإصلاح المنكسر وتعمير الخراب . وقد شرط الواقفون النظر لأنفسهم وأنه للأسن فالأسن ؛ فالنظر أولا لأحمد ثم لفرحان ثم لعلي ، وبعدهم يكون النظر للأكبر من أعمامهم أولاد جدهم خالد ، ثم الكبير الأرشد من أولادهم وذرياتهم وقفا صحيحا شرعيا معتبرا مرعيا ، قد صدر عنهم وكل منهم مختار جائز التصرف راغب في الخير مسارع إليه . وحررت هذه الأحرف لئلا

يخفى ، وحسبنا الله وكفى .

أشهد على ذلك وأنا الفقير : عبد الله بن خلف .

بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١٣٣١ هـ .

ونذكر فيما يلي البيانات الأساسية لوقف الجمعية الخيرية العربية :

١- **الاسم** : وقف الجمعية الخيرية العربية .

٢- **التاريخ** : ١ من ذي القعدة ١٣٣١ هـ الموافق ١/ ١٠/ ١٩١٣م .

٣- **الواقفون** : أحمد وفرحان وعلي أبناء فهد الخالد الخضير .

٤- **الأصل الموقوف** : بيت وعمارة .

٥- **المصارف الوقفية حسب الترتيب** :

- الجمعية الخيرية العربية (مستشفى للمرضى ، محل لعيادة الطبيب ثم مقر لأعضاء الجمعية) .
- ثم مقر للتدريس يقوم عالم صالح في أحد أقسامه . والقسم الآخر يؤجر ليكون موردا ماليا للإنفاق على التعليم فيها .
- ثم فقراء الكويت المحتاجون العاجزون .

٦- **كاتب حجة الوقف والشاهد عليها** : الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان .

٧- **ناظر الوقف** : الواقفون أنفسهم أحمد ثم فرحان ثم علي فهد الخالد الخضير ثم للأكبر من أعمامهم ثم الكبير الأرشد من أولادهم وذرياتهم .

وانتقلت النظارة لدائرة الأوقاف العامة ، حيث تم استملاك الأصل الموقوف ، ودفعت الدولة ثمنه لدائرة الأوقاف في الخمسينيات [٧٣] ، ونظرا لوفاة أصغر الواقفين علي فهد الخالد الخضير في عام ١٩٦٣م [٧٤] الذي يبدو أنه قام بنقل النظارة إلى دائرة الأوقاف العامة استجابة لإعلان دائرة الأوقاف في ربيع الأول ١٣٦٨ هـ يناير ١٩٤٩م [٧٥] ، وبذلك تكون دائرة الأوقاف العامة وخلفها حاليا الامانة العامة للاوقاف هي ناظرة وقف الجمعية الخيرية العربية .

٨- مصير الوقف

رغم هدم العين الموقوفة (البيت والعمارة) فإن وجود ثمنها في يد النظار يعني وجود الوقف ، ويستلزم وضع ثمنها في أصل آخر ، وصرف ريعه للمصرف الأخير ، وهو فقراء الكويت بعد إغلاق الجمعية .

وبمراجعة سجل العطاء الوقفي [٧٦] الذي أصدرته الأمانة العامة للأوقاف ، وهي الجهة الرسمية الناظرة على الأوقاف ، وورثة وزارة

---

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٧٤) المرجع السابق ، ص ٥٧ .
(٧٥) تاريخ دائرة الأوقاف العامة ، ١٩٥٧ ، الكويت ، ص ١٥ .
(٧٦) سجل العطاء الوقفي ، الأمانة العامة للأوقاف ، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ، نوفمبر ١٩٩٥م ، الطبعة الأولى ، الكويت .

الأوقاف والشئون الإسلامية في هذا الاختصاص التي حلت بدورها محل دائرة الأوقاف العامة ، والسجل المذكور يحوي حصرا لكافة الأوقاف التي تعتبر الأمانة ناظرا عليها كما جاء في مقدمة السجل ، وبمراجعته تبين عدم وجود ما يشير إلى وقف الجمعية الخيرية العربية ضمن الأوقاف التي تديرها ، لذلك فمن المهم البحث عن الوقف المذكور وما حدث له وإحياؤه وأعتقد أن ذلك متيسر .

وبمناسبة الحديث عن وقف الجمعية فمن المفيد الإشارة إلى أن المدرسة المباركية قد ضم مبناها الأول بيت وقف لسبيكة الخالد ، فقد ذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي «وحصل بيت وقف خرب تحت إشراف آل خالد أدخلناه في المدرسة وتعهدت المعارف (وزارة التربية لاحقا) بدفع قيمة أضحيتين بحسب نص الوقف كل سنة» (٧٧) . وقد أوضح تفاصيل هذا الوقف المؤرخ سيف مرزوق الشملان قائلا «واشترطت سبيكة الخالد على المسؤولين عن المدرسة المباركية أن تقدم المدرسة لها بعد وفاتها (توفيت عام ١٩١٣م) أضحية كل عام من أحسن ما يكون بالبلد . وإذا تحسنت حالة المدرسة ماديا تقدم لها كل عام أضحيتين ، وفعلا أخذت المدرسة المباركية تقدم لورثتها أضحية كل عام ، وبعدما تحسنت حالة المدرسة المباركية ماديا أخذت تقدم لها

---

(٧٧) صفحات من تاريخ الكويت ، الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، ص ٤٤ .

أضحيتين كل عام» ، وقد كان يتسلم قيمة الأضاحي مساعد الكليب ثم عبد الله مشاري الكليب ثم عبد اللطيف مشاري الكليب من وزارة التربية (٧٨) . وأيضا لا يوجد في سجل العطاء الوقفي الصادر عن الأمانة العامة للأوقاف ما يشير إلى وقف سبيكة الخالد .

إغلاق الجمعية

تعددت الألفاظ التي استخدمتها المصادر التي كتبت عن الجمعية لوصف إغلاقها . فقد ذكر عبد الله النوري في كتابه أنه «قضى» على الجمعية (٧٩) ، وذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد ذلك بلفظ «إقفالها» (٨٠) . واستخدم المندوب البريطاني لفظه «انهيارها» (٨١) . بالإضافة إلى وصف إغلاق الجمعية بلفظ أو بآخر مما يعطي مؤشرا عن كيفية الإغلاق ، فقد أوردت المراجع أسبابا ، مبنية على التحليل ، لإغلاقها دون إشارة إلى سبب مباشر مثل وقوع حادثة معينة ، ويمكن تلخيص الأسباب التي تقف وراء إغلاق الجمعية وفق ما ورد في كتابات الرشيد

---

(٧٨) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٩) قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ص ٥٩ .

(٨٠) تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، ص ٣٧٤ .

(٨١) التقارير الإدارية للخليج ، تقرير عام ١٩١٣م ، ص ١٢٧ .

والنوري والشملان والكابتن شكسبير في التالي :

١- غضب الشيخ مبارك الصباح عليها ، ذكره المؤرخ الرشيد .

٢- وفاة المؤسس قبل مرور عام على تأسيسها ، ذكر ذلك الشيخ النوري .

٣- وشاية بعض من لا خلاق لهم لدى الشيخ مبارك الصباح ، أشار إلى ذلك الشيخ النوري .

٤- لأسباب سياسية تتعلق بميول أصحاب الجمعية التي تتجه نحو الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة الإسلامية [(٨٢)] .

٥- لم تكن أفكار الناس في الكويت مهيأة لتقبل وجود مثل هذه الجمعية كما ذكر ذلك المؤرخ الشملان ، ويؤكد ذلك ما ذكره د . ميلريا في مذكراته [(٨٣)] من أن «الشيخ مبارك يعتقد أن الكويت ليست مهيأة بعد لإقامة مشروع بهذا الطموح ، وكان بالطبع محقا كل الحق في اعتقاده هذا» .

---

(٨٢) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٨٧ .

(٨٣) الكويت قبل النفط (مذكرات د . ستانلي ميلريا) ، ترجمة د . محمد غانم الرميحي وباسم سرحان ، دار حوار للطباعة ، ١٩٧٥م ، الكويت ، ص ١٤٣ .

٦- وجود معارضة للجمعية منذ تأسيسها من قبل بعض كبار الشخصيات بالبلد ، كما ذكر ذلك الكابتن شكسبير في تقريره عن عام ١٩١٣م ، وأثبته المؤرخ الشملان عندما نشر نص رسالة أحد المعارضين لها وهو إبراهيم بن إسحاق .

٧- وجود فجوة ثقافية بين مؤسسي الجمعية ومشجعيها من جهة ومعارضيها من جهة أخرى ، فهؤلاء المشجعون أتيحت لهم فرصة الاطلاع والاحتكاك بمراكز الثقافة في البصرة والحرمين الشريفين ومصر والشام من خلال المجلات كالمنار والمؤيد ، ومن خلال الزيارات لهذه المدن ، وزيارات بعض دعاة الإصلاح كالشيخ محمد رشيد رضا للكويت في مايو ١٩١٢م . وقد عزز ذلك كونهم من الشباب المتطلع للإصلاح والتغيير وتحسين أوضاع مجتمعهم صحيا وتعليميا وثقافيا . ويستنتج هذا سببا لإغلاق الجمعية من خلال الاطلاع على واقع المجتمع في ذلك الوقت من مختلف المصادر المعاصرة له ، لاسيما ما كتبه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والمؤرخ عبد العزيز الرشيد .

ويصعب على الباحث المتجرد مع قلة المصادر التي كتبت عن الجمعية وضعف ما ورد فيها وتبني أصحاب هذه المصادر لرأي معين ، وهم إجمالا من المعجبين بالجمعية ومؤسسها مما أدى إلى عدم نقل وجهة نظر التيار المعارض للجمعية بالشكل الكافي ، أقول يصعب على الباحث أن يرجح أحد الآراء المذكورة ، أو أن يحدد سببا مباشرا وراء إغلاقها ، ولذلك يتم اللجوء للتحليل والاستنتاج . وقد غادر الطبيب

التركي الكويت مع الشيخ مبارك إلى الفيليه (مقر الشيخ خزعل حاكم المحمرة) في أكتوبر عام ١٩١٣م ، وهناك استقال من عمله في الجمعية ، وتم بيع الأدوات والأدوية في البصرة بمبلغ ٢٠٠٠ روبية وبذلك أقفلت العيادة الطبية في الجمعية (٨٤) .

ورغم اختفاء الشكل والكيان المؤسسي للجمعية في يناير ١٩١٤م فقد استمر الواعظ الشيخ محمد أمين الشنقيطي في الوعظ والإرشاد في المساجد حتى ما بعد أبريل ١٩١٥م حيث غادرها إلى الزبير واشترك في معركة الشعيبة بين الدولة العثمانية وبريطانيا (٨٥) . ويرجع الفضل في بقاء الواعظ إلى وقف الجمعية الذي أوقفه مؤسسوها ، والذي نصت حجته على «توفير مقر لعالم صالح في جزء من البيت وتأجير القسم الآخر ودفع أجرته إليه» .

أليست الجمعية بأغراضها وطموحات أعضائها ومزاوجتها بين مواجهة التحديات المباشرة الذي أوجدها التبشير المسيحي في الكويت صحيا وتعليميا ، وبذر بذور النهضة الشاملة المستقبلية من خلال المطالبة بالبعثات الدراسية في الجامعات في الخارج ، أليست تمثل أول مشروع شامل للنهضة في الكويت؟ بلى ، أعتقد ذلك .

---

(٨٤) التقارير الإدارية للخليج ، تقرير عام ١٩١٣ ص ١٢٧ .
(٨٥) أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ص ٩٠ .

الملاحق

ملحق (١) : مترجم عن الإنجليزية .
العنوان : الأنشطة التبشيرية المسيحية في الكويت .
الكاتب : إدوين كالفرلي .
المصدر : مجلة (جزيرة العرب المهملة) Neglected Arabia العدد ٩٢ ، يناير وفبراير ومارس ١٩١٥م ، الإرسالية العربية ، نيويورك ص ٨ ، ٩ ، ١٠ .

استطاعت الإرسالية في عام ١٩١١م تعيين رجل دين في الكويت على أن يبقى فيها جزءا من العام . وقد بدأ السيد بيننغز ، فور وصوله ، زياراته للأهالي لكسب أصدقاء منهم ولتشجيعهم على زيارته . وقد كان هذاأقصى ما يستطيع عمله ، وكانت الزيارات وسيلته الوحيدة للتأثير عليهم ، لأن الشيخ (مبارك) طلب إليه عدم إثارة نقاشات دينية خارج مكتبة الإنجيل (التي افتتحت في شارع السوق) أو العيادة الطبية «حتى لا يستثار البدو الجهلاء» كما قال الشيخ . وقد استطاع السيد بيننغر الاستفادة بشكل كبير من هذا الإذن خلال الأوقات التي لا يتم فيها العمل الطبي مستفيدا من سكنه داخل العيادة الطبية لتحقيق ذلك . ونظرا للطبيعة المؤقتة لتعيينه في الكويت فلم يتمكن من أن يباشر عملا مدرسيا منظما ، لم يتعد جهده في هذا المجال تدريس الإنجليزية لبعض الطلاب .

واستمر السيد كالفرلي على المنهج نفسه ، وهو الذي جاء إلى الكويت العام التالي (١٩١٢م) وذلك لبعض الوقت ، وتم تحقيق بعض التقدم متمثلا في تجميع نصف «درزن» من الأولاد للدراسة المنتظمة ضمن الضوابط المعتادة ، كما ارتفعت مبيعات الكتاب المقدس حيث بيع منه خلال شهر ما يعادل مبيعات العام الماضي بأكمله ، وقد جمع الطلاب في فصل لمدرسة الأحد ، وقد استفاد الدكتور هاريسون بشكل متزايد من الميزات التي يمنحها إياه عمله الطبي ، ولعل هذه المجهودات بدأت قبل أوانها ، وعلى أية حال فقد تزامنت هذه التطورات في العمل مع زيارة للكويت قام بها صاحب مجلة المنار (الشيخ محمد رشيد رضا) التي تصدر في القاهرة وهي مجلة إسلامية مؤثرة ، وقد كان المذكور يعرف الأساليب والتوجهات العالمية للإرساليات المسيحية ، وقد رأى فينا «نموذجا حياً» ، وقد حث صاحب المجلة الأهالي في محاضراته اليومية في المسجد الرئيسي في المدينة ، على تجنب الاختلاط بنا والاستغناء عن المجيء إلينا من خلال توفير المرافق الصحية والتعليمية الخاصة بهم على أن تكون ذات مواصفات متطورة . وقد قبل كل من في المدينة رأيه بتجنب (المبشرين) ، وقد ألقيت خطب تحمل المعنى نفسه في المسجد الآخر ، ولكن لم يوافق الجميع على إنشاء مؤسسات إسلامية حديثة ، ومع هذا فقد تشكلت جمعية الكويت الخيرية الإسلامية التي أسست خلال عام واحد مستوصفا ومدرسة . وقد تأثر ، في الوقت نفسه ، عملنا بشكل كبير سواء في المدرسة أو مكتبة الإنجيل أو العمل الطبي ، ولكن تمت المحافظة على طرق العمل نفسها حتى في

فترة المعارضة الشديدة ، وتم تحقيق بعض التقدم الفاعل تدريجيا مرة أخرى .

واعتقدنا في ذلك العام أننا قد استقطبنا معتنقا جديدا للدين المسيحي ولكن تبين عدم صدقه حيث استمر في الوقوع في الآثام . وقد استقطبت الجمعية الإسلامية العديد من المعتنقين الجدد للإسلام ، ولكنهم أيضا ظهروا بشكل غير مرض لأسباب متنوعة كما يستدل من كلام أحد مسئولي الجمعية الذي قال «من أراد أن يكون مسلما فلا يتوقع أن يحصل على مال نظير ذلك» .

تأسست العيادة الطبية الإسلامية في عام ١٩١٣م ، وبدأت عملها بطبيب تركي بعد الكثير من الإثارة والنفقات ، وقد حظيت بدعم كبير من الشيخ (مبارك) . ولكن العيادة عمرت أقل من ثلاثة أشهر ، حيث استقال الطبيب وتخلى الشيخ عن رعايته لها ، وبعدها أغلقت العيادة . ولكن مدرستهم (قد تكون المباركية) شهدت ، مع ذلك ، نجاحا رائعا ، فهي رغم محدودية المنهج الدراسي ، حيث تدرس الجغرافيا بالإضافة إلى الدراسات القرآنية المعتادة ، تمثل تحسنا كبيرا مقارنة مع كتاتيب الملا العادية ، وكانت الجمعية الخيرية الإسلامية لا تزال تعقد اجتماعاتها بانتظام ويعمل لديها ملا (الشيخ محمد أمين الشنقيطي) استقدم خصيصا لوعظهم وتوجيه نقاشاتهم . وقد طلبوا مؤخرا وتسلموا إنجيلا كبيرا وقاموس الإنجيل من مجلدين وبعض الكتب المسيحية الأخرى مما يشير إلى حجم الاهتمام الذي يولونه للدعاوي المسيحية .

في عام ١٩١٣م قام السيدان شو وهينز ببناء مستشفانا الجديد من الحديد والكونكريت ، ولا يزال يعتبر أعجوبة لدى السكان المحليين ، الذين يكررون دائما ملاحظاتهم بأنه لا يذوب ،كما كانت تفعل الأمطار في بيوتهم الطينية مهما كانت قليلة عند نزولها في الكويت .

وفي العام نفسه أضيف موزع متجول للأناجيل إلى الجهاز العامل ، بالإضافة إلى الآخر الموجود فعلا . وقد بدأ في توسعة مجال التجوال دون مشكلات كبيرة أو معارضة من البدو أو من غيرهم . وقد تم بانتظام زيارة السفن التي تتوقف في الميناء بحثا عن مشترين محليين للأنجيل من بين ركابها . كما تم تحقيق استفادة أكبر من إمكانات الإدارة الطبية . وتم أيضا القيام بثلاث زيارات للقرى البعيدة . وقد تضاعفت مبيعات الإنجيل ، وتم تزويد المدرسة الإسلامية بالكتب الدراسية الخاصة بالنحو والكتابة (باللغة الانجليزية) .

واستمر العمل في عام ١٩١٤م بشكل مستقر ولوحظ زيادة في القبول لعملنا من الأهالي ، ولعل ذلك يرجع إلى عدم ممارسة ضغوط تحد من تسامحهم . وبدأ عملنا المدرسي من جديد وأخذ ينمو ببطء ، وتم بناء سكن للأطباء المبشرين (المسيحيين) بالقرب من المستشفى ، وتتم الاستفادة حاليا من المباني المخصصة للعمل والسكن . وقد أتاحت عمليات البناء فرصا للتبشير وإظهار قيمة السلوك المسيحي ، وإنْ لم تستغل كما يجب . ولكن لاشك أن العديد من أهالي البصرة ونجد

وقبائل الصحراء تكونت لديهم أفكار جديدة وجيدة عن معاملات المسيحيين بعد العمل معنا .

وتعدّ الكويت أحدث محطة للإرسالية وهي محظوظة بتأمين مبنيين فيها للعمل والعاملين خلال سنواتها الخمس الأولى . رغم أنه مازالت هناك حاجة عاجلة لبناء بيت آخر للعاملين في التبشير ، ونحن مقدرون لتوفير جزء من ميزانية إنشائه . إن ضرورة إنشاء الإرسالية لمبانيها أمر ضروري في الكويت لأنها على العكس من المحطات الأخرى لا تتوافر فيها مبان مناسبة للتأجير بأي سعر . ونأمل الانتهاء من مبنى الإرسالية كما نتمنى في المستقبل القريب ، وبوجود هذا المبنى السكني الثاني وعيادة بجوار المستشفى الجديد الذي خطط له ليكون مخصصا للمرضى الداخليين أن يضاف إليها مدرسة وكنيسة ، فإنه يمكن استغلال كافة طاقات العاملين وتكريسها بشكل كامل وبكافة الطرق لكسب مسلمي الكويت ومحيطها ليسوع المسيح .

ملحق (٢) :

العنوان : الكويت تنشيء مستشفاها ومدرستها .

المصدر : الكويت قبل النفط ، د . س ستانلي ميلريا ، ترجمة د . محمد غانم الرميحي وباسم سرحان ، منشورات دار حواء للطباعة والنشر ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

«ومع توسع خدماتنا الطبية وازدهارها وازدياد شعبيتها ، ارتفعت في الكويت أصوات تنادي بعدم اعتماد البلد على الأطباء المسيحيين وعلى المستشفى المسيحي في معالجة مرضاها . ودعا أصحاب تلك الأصوات إلى إنشاء مستشفى كويتي وإلى إحضار طبيب مسلم لإدارته والإشراف عليه .

وفي أواخر عام ١٩١٤م أو أوائل عام ١٩١٥م (التاريخ الصحيح هو عام ١٩١٣م ، المترجم) شكلت جمعية لتحقيق هذا الهدف أطلقت على نفسها اسم «الجمعية الخيرية الإسلامية الكويتية» واختارت اللجنة منزلا فسيحا على البحر مقرا للجمعية ، وقامت بتأثيثه مستشفى وعيادة . كما قامت بشراء الأجهزة والأدوات الطبية والأدوية . واستقدمت بعد ذلك طبيبا تركيا للإشراف على المستشفى . ولم ينجح مشروع الجمعية بتاتا . فقد قيل إن الطبيب كان يسرف في الشرب ، وأنه لم يكن كفئا ، وكان كسولا ويكره العمل .

ولم يكن أي من أعضاء الجمعية الذين أسسوا المشروع على دراية

بالطب ، ولا بمهنته الطبية ، وبالتالي كانوا عاجزين عن الإشراف على مشروع من هذا النوع . وأخيرا ، لم يكن الشيخ مبارك متعاطفا مع المشروع . فقد كان يعتقد أن الكويت ليست مهيأة بعد لإقامة مشروع بهذا الطموح . وكان بالطبع محقا كل الحق في اعتقاده هذا .

وتأزمت الأمور عندما جرى اتهام الطبيب التركي بارتكاب خطأ مهني في عمله . فطلب الشيخ مبارك الرجل وأمره بمغادرة الكويت ، وكانت تلك نهاية ما كنت أسميه «مستشفى المعارضة» . ولم يسبب لنا ذلك المستشفى أي ضرر ، وقد أظهر مستواه المتدني ، في الواقع مدى ارتفاع مستوى مستشفانا . وكانت المقارنة بين المستشفيين خير دعاية لنا .

وقد كتب آخر فصول القصة في الثاني من مايو عام ١٩١٦م ، بعد مضي وقت طويل على إغلاق «مستشفى المعارضة» (وكان الشيخ مبارك قد توفى منذ ستة شهور) .

ففي أثناء زيارة أحد الشيوخ الشبان لي أثيرت مسألة «مستشفى المعارضة» بشكل عارض . وقال لي الشيخ في أثناء تبادل الحديث أن مبنى «مستشفى المعارضة» مليء بالأثاث والأجهزة ، ثم سألني : «ألا ترغب في أخذها كلها؟ إنها تهترئ ولا ينتفع بها أحد» .

وشكرته على عرضه وأعربت عن قبولي للعرض ، وحضر في اليوم التالي إلى مستشفانا موكب الرجال والحمير المحملة بكل أثاث وتجهيزات

«مستشفى المعارضة» ومن بين الأجهزة التي حصلنا عليها جهاز مجهر (ميكروسكوب» ممتاز ، رغم أنه غير جاهز (لاستخدامه في عمل) المستشفى ؛ لأنه لم يكن مزودا بعدسة خاصة بالغمر في الزيت ، وكان المجهر ما يزال في علبته ، وبدا واضحا أن العلبة لم تفتح ، والمجهر موجود الآن ، حسبما أعلم ، في مدرستنا في البصرة حيث يستعمل في الأعمال المختبرية البسيطة . أما بقية المعدات والأدوات فبدا واضحا أنها قد اختيرت من رجل لا تتوافر لديه المعرفة اللازمة بشراء المعدات والأدوات الطبية .

وكانت المحاولة الأصيلة لبناء مستشفى كويتي عبارة عن طموح كبير تم تحقيقه الآن ، عام ١٩٥٠م بشكل لم يحلم به رجال عام ١٩١٤م . وقد شهد عام ١٩١٤م بداية تنبه عامة الناس لاحتمال وجود النفط في بلدهم ، فقد بدأ الجيولوجيون مسحهم للكويت في ذلك العام ، ومن المشكوك فيه أن يكون أي إنسان قد فكر حينئذ بوجود هذه الكميات الهائلة من النفط في الكويت ، والتي اكتشفت منذ بضع سنين ولم يكن لدى الكويت مال وفير عام ١٩١٤م» .

ملحق (٣) : مترجم عن الإنجليزية .

العنوان : المؤسسات الخيرية .

الكاتب : الكابتن و . هـ . إ . شكسبير ، المعتمد البريطاني لدى الكويت .

المصدر : تقرير الإدارة السنوي للمعتمدية البريطانية في الكويت لعام ١٩١٣م ، تقارير الإدارة للخليج ١٨٧٣ ـ ١٩٤٧م المجلد السادس ، إصدارات الأرشيف ١٩٨٦م ، بريطانيا .

بمباركة من الشيخ ناصر بن مبارك وبعض الشباب العرب من ذوي التطلعات «المزعومة» نحو التطور تم افتتاح جمعية خيرية في فبراير ، وغرضها المعلن استقدام طبيب مسلم لتقديم معالجة مجانية للمرضى ، وتوفير أموال لجلب الماء وتوزيعه مجانا على الفقراء ، ولضمان عبور مجاني للسفن لمساعدة المسلمين المنكوبين . . إلخ ، وقد تم جمع ما يزيد على ٢٠٠٠ روبية كما يقال من الاشتراكات ، كما تم التبرع ببيت ليكون مقرا ، وتم تحديد الاشتراك السنوي للراغبين في عضوية الجمعية بمبلغ لا يقل عن ٦ روبيات ، وفي شهر مارس ذكر أنه بذلت جهود للاستفادة من خدمات مساعد الجراح داود الرحمن خان ، وهو مسلم سني يتمتع باحترام المواطنين العرب عندما كان مسئولا طبيا في المعتمدية البريطانية في الكويت في الفترة ما بين ١٩٠٤ - ١٩٠٧م . وأخيرا أحضر الشيخ مبارك طبيبا تركيا يسمى أسعد بك من البصرة كطبيب خاص له ، وعينه مسئولا عن المستوصف الخيري الجديد ، وقد

بدأ العمل الخيري في المستوصف بعد أن قام الدكتور أسعد بك بزيارة إلى بومبي تم خلالها شراء أدوية ومعدات جراحية قيمتها ٥٠٠٠ روبية . وقد رافق الطبيب الشيخ مبارك إلى الفيليه في أكتوبر حيث قدم وقتها استقالة من العمل في المستوصف .

وأخيرا قام الشيخ مبارك بإرسال الأدوية والأدوات المتبقية في المستوصف إلى البصرة حيث تم بيعها بمبلغ ٢٠٠٠ روبية ، وقد تم ذلك بعد أن خلا المستوصف من الطبيب . ويبدو واضحا أن الطبيب أسعد بك قد نجح في ملء جيوبه بشكل ليس بالقليل خلال فترة وجوده الوجيزة في الكويت .

ومشروع الجمعية لم يتلقه كبار رجالات المدينة من البداية بالقبول ، وقالوا : كان يجب استشارتهم ؛ لذلك فإن انهيارها لم يكن مبعث دهشة كبيرة .

ملحق (٤) : الوثائق .

(١) الوثيقة الأولى : حجة وقف الجمعية الخيرية العربية .

المصدر : أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ـ ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ، الكويت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من اراد به خيراً لفعل الخيرات وعمل القربات والصلاة والسلام على سيدنا
محمد المؤيد بالآيات البينات وعلى آله واصحابه الذين آمنوا وعملوا الصالحات اما بعد فان المقتضي
لكتابة هذه الاحرف هو انه لما كان الوقف من افضل الطاعات واجل القربات وانه من الاعمال
المنجيه والصدقة الجاريه رغب فيه حضرات الفضلاء الاماجد وهم احمد وفرحان وعلي اولاد المرحوم
بكرم الله فهد الخالد الخضير وسابقوا اليه فوقفوا كلهم جميعاً وحبسوا وسبلوا ما هو ملكهم وتحت تصرفهم
وهي الدار العامره ارضها وبناؤها وما كان متصلاً بها لمصلحتها وهي قسمان بيت وعمارة بحسب عرفنا
الكائنة في محلة سعود التي هي احد محلات الكويت المحدودة قبلة الطريق النافذ وشمالاً شاطئ البحر
وشرقاً وجنوباً عمارة ابراهيم بن حسن الشطي وبيته وقف كل من اولئك المذكورين هذه الدار المحدودة
المشتملة على القسمين البيت والعماره على الجمعية الخيرية العربية التي تألفت في الكويت في اوائل هذه
السنه ببركة سعيها المشكور ضوعفت لهم الاجور على ان تكون مستشفى للمرضى ومحلاً لعيادة الطبيب المسلم
وانه يجلس فيها ايام اعمالها وان لم ينتظم امرها لا قدر الله ذلك فقد شرطوا ان الناظر عليها ينصب في احد
قسميها عالماً صالحاً يدرس فيه العلوم النافعة ويؤجر القسم الآخر ويدفع اليه اجرته وان لم ينتظم فيها امر التعليم
بان لم يحصل عالم يرجى باقامته فيها النفع للدين والدنيا معاً فليؤجرها الناظر جميعاً ويصرف غلتها
الى فقراء الكويت المحاويج العاجزين عن تعاطي الاسباب المعاشية بعد الانفاق عليها ما تحتاجه
من الترميم باقامة المائل واصلاح المنكسر وتعمير الخراب وقد شرط الواقفون النظر لانفسهم وانه
للاسن فالاسن فالنظر اولاً لاحمد ثم لفرحان ثم لعلي وبعدهم يكون النظر للاكبر من اعمامهم اولاد جدهم
خالد ثم الكبير الارشد من اولادهم وذرياتهم وقفاً صحيحاً شرعياً معتبراً مرعياً قد صدر منهم وكل منهم
مختار جائز التصرف راغب في الخير مسارع اليه وحررت هذه الاحرف لئلا تخفى وحسبنا الله وكفى

اشهد على ذلك وانا الفقير عبد الله بن خلف

بتاريخ غرة ذي القعدة ١٣٢١

٢- الوثيقة الثانية : رسالة لأحد معارضي الجمعية الخيرية مؤرخة في ١٣ من ربيع الثاني ١٣٣١ هـ الموافق ٢٠ من مارس ١٩١٣م .

المصدر : أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان - ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ٤٠ ، الكويت .

فادخلا علينا السرور وتاملناها بحضور اما الاول عن الصحة جوز المعضد ادخلنا
عند الصلح يقع عدد ليره واما الثاني بطيه كتابين لعبد الرحمن وعبد العزيز بن قطامي
سلناهما وذكرتم عن اخبار الدولة نعرفكم اما اخبار جديده لم نسمع والبوسطة لم تجي
هذه الدفعة مركب البوسطة دخل فيها البصرة (ان كان تريدون خبر الجمعيه الظاهر لم تكون
مؤسسه على تقوى بل هو عين اليقين ويريدون حدوث مسائل الذي هي كانت
في خواطرهم سابقا وكتبوا للبصره عن حالة جمعيتهم فنشر صاحب الجريدة حال
الجمعيه وما تترتب عليه من اعمال الخير بزعمهم كما ارادوا ان يتعلق لهم في جريدته اخبار
جمعيتهم وانهم قائمين لله مؤيدين الدين واطعام الفقراء والمساكين وايضا طبعوا لهم اوراقه
اخرى فنشروها في البصره وفي الكويت وجعلنا هذه الورقه بطي كتابنا هذا ومن افسادهم
قد كتبوا للشنقيطي يجي هو بموجب السماع انه وصل البصره مع السيد رجب من مصر
والثوة متلهفين بجميل مشاهدتكم ومتاكم الى طربا لانقطاع عن جميل حضرتكم ولولا امور
الاشغال بالايام والليال لما انقطعنا عن مجلسكم الشريف ومكارم المنيف ولو لم تدعونا
فان رؤيتكم عندنا مما تبتهج بها الخواطر وتنتعش بها القلوب انتعاش الروض اذا
باكرته الغيوم المواطر والسلام على الشيخ عبد العزيز واخواننا الحاضرين لديكم خصوصا
المحب محمد وعلي ودمتم بنعم الله محفوظين وبالاعمال الصالحة مأجورين والكتاب
نهاية العجل نرجو منه سيدنا السماح الحقير ابراهيم بن اسحاق

. . إن كان تريدون خبر الجمعية الظاهر لم تكن مؤسسة على تقوى بل هو عين اليقين ، ويريدون حدوث مسائل الذي هي كانت في خواطرهم سابقا ، وكتبوا للبصرة عن حالة جمعيتهم فنشر صاحب

الجريدة حال الجمعية وما تترتب عليه من أفعال الخير بزعمهم ،كما أروه أن يعلن لهم في جريدته أخبار جمعيتهم وأنهم قائمين لله مؤيدين الدين وإطعام الفقراء والمساكين وأيضا طبعوا لهم أوراق أخرى فبثوها في البصرة وفي الكويت وجعلنا هذه الورقة بطي كتابنا هذا ، ومن إفسادهم قد كتبوا للشنقيطي يجيء وبموجب السماع أنه وصل البصرة مع السيد رجب من مصر . .[1]

إبراهيم بن إسحاق

---

(١) هكذا جاء نص الوثيقة .

(٣) الوثيقة الثالثة : الدعوة لأحد اجتماعات الجمعية الخيرية .

موقعة من سكرتير الجمعية مشاري الكليب .

مؤرخة بتاريخ ٣ من ربيع الأول ١٣٣١ هـ الموافق ٩ من فبراير ١٩١٣م .

المصدر : أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ٣٨ ، الكويت .

بسم الله ٣ ربيع أول سنة ١٣٣١ هـ

جناب الأجلاء الكرام الإخوان محمد وعلي أبناء المكرم العم شملان المحترمين ، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نعرض مع مزيد الممنونية أن الأخ فرحان أوصانا نيابة عنه وعن جميع

أعضاء الجمعية أن ندعوكم إلى حضور جلسة الليلة ليلة الإثنين ٣ من ربيع الأول ، وحيث إننا لم نوافق (نلتقي) أحدكم بالسوق وجب علينا إبلاغكم ذلك تحريرا ، فنأمل مجيئكم إلى محل الجمعية الخيرية الليلة الساعة ٢ (الساعة ٨ مساء بالتوقيت المعاصر) والمحل عمارة عبد الوهاب القناعي سابقا ، هذا واقبلوا مزيد احترامنا والسلام عليكم .

كاتبه مشاري

(توقيع)

ملحق (٥) رسالة إلى مجلة المنار ورد المنار عليها .

العنوان : دعاة النصرانية في البحرين وبلاد العرب .

المصدر : مجلة المنار ج ٥ م ١٦ ص ٣٧٩ - ٣٨٣ بتاريخ ٢٩ جمادي الأولى ١٣٣١ هـ الموافق ٧ مايو ١٩١٣م ، مصر .

سيدي العلامة المشتهر منشئ المنار الأزهر أيد الله بك الشرع الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد فلم أنس لا أنسى تلاوة أعداد مجلتك المحترمة وما حوته من منشورات نصارى البروتستانت في الغارة على العالم الإسلامي ودسائسهم في إضلال ضعفاء المسلمين وتهديدهم حياة الأديان حتى الإسلام بقواهم ومعداتهم المدهشة وما كان يشيعه (زويمر) عن مسلمي البحرين من تأثير عملياته فيهم .

أقرأ تلك المنشورات وأناملي ترتعش وفرائصي ترتعد ، ونيران الأحزان تلتهب في أحشائي وتتقد ، حتى أني سئمت العيش آنئذ ، وعفت الأهلين والوطن ، وخرجت بوجهي كهائم في فلاة حتى بلغت مجمع البحرين لكي أطلع على حقيقة الأمر وأتحقق صحة ما أشاعه دعاة البروتستانت عن تلك القارة الإسلامية المحضة ، فنتدارك الخطب بعدئذ عن بصيرة .

فحللت بلاد البحرين في أول يوم من هذه السنة ، والتقيت أميرها وقاضيها والعلماء والأعيان من أهليها . وفتشت عن (زويمر) فأخبروني

بسفره إلى البلاد المصرية ، واتفق نزولي في دار قريبة من مستشفى البروتستانت ومن مدرستهم وبيوتهم فأرسلت إلى بعض خدمهم من مسلمي الجزيرة وأخذت منه بعض المعلومات الضرورية وظفرت بتصاوير إدارتهم الكائنة في البحرين وفي مسقط والكويت والبصرة .

إن الخطر مما لا يستصغر ، ولكن ما يهون الخطب أن أكثر ما يشيعونه من نجاح مسعاهم في هذه البلاد مبالغات أو مفتريات يقصدون من نشرها إغراء جمعياتهم الكبرى وتشويقها حتى تبذل لهم الأموال الجسيمة .

وها أنا ذاكر لسيادتك بعض ما كشفته عن أمر هؤلاء ، وسوف أذكر في حضرتك البقية بالمشافهة إن شاء الله تعالى .

أما الدعاة المنتشرون في البحرين فلا يبلغ عددهم العشرين رجالا ونساء وأكثرهم لا يحسنون العربية ، ولا يعرفون شيئا من العلوم الدينية ، وهذا بعض ما يدل على أن هؤلاء يغشون جمعياتهم الكبرى التي تنفق عليهم الأموال الطائلة لظهور عجزهم وقصورهم في أداء وظيفتهم فتذهب بهم أموال الجمعية هواء في شبك .

وقد لقيني معلمهم بعض الأيام وسألني عن قوله تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) الخ الآية . فقال : إن المستفاد من الآية علم الملائكة بالغيب ، بل بما لم يعلمه الله تعالى . فقلت يا سبحان الله كيف نستفيد ذلك من الآية مع تصريح الملائكة في

هذا السياق بقولهم (لا علم لنا إلا ما علمتنا) وتصريح الباري عز شأنه بقوله (إني أعلم ما لا تعلمون) ، ثم إن الملائكة لم تعترض على الله في خلق آدم وانما استفهموا منه تعالى عن جواز صيرورة الظالم المفسد (في رأيهم) خليفة ، فقالوا بعد قوله (إني جاعل في الأرض خليفة) (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الخ ، ولم يقولوا أتخلق فيها من يفسد .

ومتى كان هذا القول من الملائكة استفهاما وسؤالا عن جواز استخلاف الله تعالى ظالما ، ولم يكن ذلك منهم اعتراضا عليه ، دل ذلك على عدم علم الملائكة للغيب وعلى سعة علم الله تعالى دون العكس كما توهمت .

وتكلمت معهم يوما في مكتبهم في مسألة إشباع المسيح عليه السلام خمسة آلاف نفس بخمسة أرغفة المذكورة في إنجيل متى وغيره ، وبرهنت لهم بالأدلة الواضحة منافاة هذه القضية لحكم العقل والعلم ، فاعترفوا بمناقضتها لحكم العقل لكنهم اعتذروا بأن الدين لا يضره مناقضة العقل ، فبينت لهم في مقالة ضافية الذيل وجوب معاضدة العقل للدين ومصادقتهما ويستحيل دون ذلك إيمان الإنسان إيمانا صادقا ، وذكرت لهم موافقة الدين الإسلامي للأحكام العقلية وتصريح بعض علماء الإسلام بقضية (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع وكذلك العكس) .

ولدعاة البروتستانت في البحرين مدرسة مركبة من حجرتين ،

يجلس الأطفال في التحتانية منهما ، ويجمع الكبار للصلاة في الفوقانية ، ولا يبلغ تلاميذها عدد الأصابع ، وما فيها من المسلمين غير صبيين عربي وفارسي يتعلمان فيها الإنجليزية ، ورأيتهما يستهزئان بصلاة هؤلاء ، ويقول أحدهما للآخر : كيف يقبل الله تعالى صلاة يغنون فيها بأدوات اللهو ويقضون باسم الصلاة شهوات أنفسهم؟ .

وأما تاريخ (زويمر) فالمشهور بين أهالي البحرين أنه في أول مجيئه قبل بضع عشرة سنة صادف خشونة من الناس ، فهاجر إلى بلاد الحسا ليستقر فيها ، فوجد في أهليها ذكاء وتنبها ، وأن البلاد عثمانية لا يسود فيها حكم لقونسل (لقنصل) إنجليزي حتى يستظهر مثله به كما ستسمع ، فرجع إلى البحرين بخفى حنين ، واستعذب ما يراه ثمة من المهانة وكان يلقب نفسه «ضيف الله» ، والأهالي يدعونه «ضيف إبليس» كذا ذكر الناس ، وكان قد فتح في مبدأ أمره حانوتا في السوق لبيع الكتب المختلفة ثم تخصص بالتدريج لبيع الكتب المسيحية ، وبعد أعوام عزم على شراء أرض هناك فامتنع الحاكم عن أن يبيعه ، مع أنه اشترط على نفسه ألا يضع فيها ناقوسا ولا غيره من آثار النصرانية وألا يدعو فيها إلى دينه ، لكن (زويمر) توسل بقونسلية (بقنصلية) الإنجليز في بوشهر والبحرين فألحت القنسلية (قنصلية) على الحاكم وأخذت منه قدرا واسعا من الأرض لزويمر بثمن أربعة آلاف روبية تقريبا ، وأسسوا فيه مدرسة ومستشفى صغيرا لنشر دعوة الإنجيل بتمام حريته (أفلا يدل هذا وأمثاله على تورية في لهجة أوربا في ادعاء اجتناب

ساستها الأمور الروحية وتجنب رجال ديانتها الأمور السياسية؟) .

ولم يظهر خلال تلك الأعوام نجاح لزويمر إلا في أمور أربعة ؛ (الأول» زيادة راتبه ومعاشه إلى ١٥٠ روبية في الشهر غير ما يتبرع به بعض أحبائه الأمريكانيين . (الثاني) تكثيره عدد الدعاة في بلاد البحرين من رجال ونساء أمريكيات يتطلبون بمسعاهم الارتزاق . (الثالث) استخدامهم لفقراء المسلمين في إدارتهم ثم يأخذون صورهم ويرسلونها إلى بلاد أخرى ويشيعون عنهم أنهم تنصروا ، والصحيح أنهم تبصروا في دسائس مخالفيهم . ولقد شاهدت في مستخدميهم الغيرة الإسلامية والشكوى مما هم فيه حيث إن الفقر ألجأهم إلى خدمة عباد المسيح (الرابع) توزيعهم لنسخ الأناجيل بين المسلمين ، ولشد ما أخطأوا في هذا الأمر ، وسيندمون حين لا ينفعهم الندم ، لأن أبناء القرآن إذا اطلعوا على آيات الإنجيل سقط موقعها من أعينهم . وقد اتسع نطاق فحصي في ذلك فلم أجد مسلما يسمع الإنجيل إلا ويتكلم عليه .

ولقد قال لي أحد البحرانيين إنني كنت أعتقد قبل أن أرى الإنجيل أنه كتاب إلهي ، ولكن يد التحريف مست بعض آياته ، وبعد ما وصلتني منه نسخة سقط من عيني حتى كدت أن أنكر نسبة شيء منه إلى الباري .

ولقيت الشاب الغيور (يوسف كانون) (هكذا في الأصل) أحد أجلاء البحرين وممن يتحبب إليهم زويمر ، وقد أتحفه بنسخة من العهدين ؛ فقال : وقد أعانتني قراءتهما على محاجة زويمر معي في

كثرة أزواج نبينا محمد ﷺ فقلت : إنها لا تنافي رسالته من الله تعالى ، وهذا سفر صموئيل من التوراة ينطق بأن سليمان النبي عليه السلام تزوج بمئات من النساء ، وأن داود عليه السلام تزوج بغير زوجته على وجه غير وجيه ، . . إلى آخر ما قال .

وكان شبان العرب يذكرون لي ما سنح في خواطرهم من الاعتراضات على الأناجيل ، وجاء بعضهم يوما بنسخ من الإنجيل الموزع عليهم قد كتبوا على هوامشها اعتراضات جمة . . ولقد نهيتهم عن إحراقها إذ بلغني أن أكثر جهالهم يأخذون نسخ العهود الموزعة عليهم ويحرقونها ! ! أو يلقونها في البحر ! ! ويبيعون أغلفتها ويستعملون الأوراق لصنعة الكرتون أو سائر حوائجهم ! .

وبالجملة إن نشر هؤلاء تلك الكتب بالمجان وشبهه تلقى خسارات باهظة على كاهل جمعياتهم دون فائدة ، بل المرجح أن ذلك يعود عليهم بمضرة كبيرة يصعب عليهم ملاقاة أخطارها في المستقبل . وهي توجه أفكار المسلمين إلى إشاعة ما في الأناجيل وإنكاره تماما فهم ما لم يقرؤوا الأناجيل مذعنون حسبما يظهر من قرآنهم المقدس (إن العهود كتب إلهية مست يد التحريف بعضا من آياتها) ومتى اطلعوا على خوافيها ، نفروا من جميع ما فيها ، وعرفوا مواضع الطعن منها . . أقول هذا ولا أظن المسيحي يعترف لي أو يصدقني لما ملأ قلبه من الشغف بالإنجيل ، ويزعم أن الناس كلهم يرون إنجيله مثلما يراه ، كلاَّ ، ومن أنذر فقد أعذر .

أخذ الأفرنج منذ سنين يوزعون الأسلحة النارية في بلاد العرب ؛ بالمجان بعضا وبأزهد الأثمان أخرى ، يقصدون من ذلك إلقاء الفتن والقلاقل الداخلية فيقع بأس المسلمين بينهم ، ويمزق الإسلام بأيدي أبنائه ، ولقد تأكد ظنهم من فتنة اليمن وما إليه فخسروا في توزيع الأسلحة ثروة عظيمة .

ولما ظهرت صيحة طرابلس ونهض العرب كأسود ضارية يستعملون تلك الأسلحة والسهام في نحور أعداء الإسلام خابت ظنون الإفرنج وانتقضت سياستهم فطفقوا الآن في مواني جزيرة العرب يشترون منهم بأثمان غالية تلك الأسلحة التي فرقوها بينهم بأبخس الأثمان ، فتضاعفت خسارتهم مرة أخرى (تلك إذن كرة خاسرة) .

وها أنا ذا أنذرهم (ولا يغني الإنذار) وأحذرهم من نشر كتبهم في المسلمين لأنهم في هذه الفكرة كالباحث عن حتفه بظلفه يبصرونهم بمواضع الطعن ويمكنونهم منها ، ولسوف تراهم يشترون بأغلى القيم جميع الأناجيل التي فرقوها فيهم بالمجان أو بقيمة زهيدة ، ويسعون في جمعها بكل وسيلة وحيلة ، وتكون خساراتهم في حال جمعها أكثر من خساراتهم حال تفريقها ، وتكون عاقبة أمرهم في نشر أسلحتهم الدينية كأمرهم وخطئهم في نشر أسلحتهم النارية . . ومن أنذر فقد أعذر .

من (بطون الفلوات) **(سائح ناصح)**

وقد رد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار على هذه الرسالة بالجواب التالي :

(المنار) إن هؤلاء القوم لا يبالون بزيادة نفور بعض من يرى كتبهم من دينهم ويكتفون ممن يأخذ هذه الكتب بالأنس بهم واعتياد البحث عنهم والتشوق إلى سائر ما ينشرونه ولو بقصد الاختبار أو السخرية ، وحينئذ يفتح لهم باب التشكيك في الإسلام بنشر الكتب التي تطعن فيه ولا يذكر فيها شيء من كتبهم ، ومتى شك المسلم في القرآن أو نبوة النبي ﷺ وبطلت ثقته بالإسلام فهذا عند الدول أول درجات الفتح السلمي بواسطة دعاة النصرانية . فالأولى للمسلمين ألا يأخذوا شيئا من كتبهم البتة إلا من كان متصديا للدفاع عن الإسلام والتفرقة بين الحق والباطل ، ومن أخذ منها شيئا فلا كفارة لأخذه مثل إحراقه بالنار ، قبل أن يهوي به إلى النار ، وقد أخطأ السائح الفاضل بنهي الناس عن إحراق تلك الكتب التي تثير الفتنة ، وتمزق شمل الأمة ، وتكون وسيلة للشك في الدين ، ولإزالة ملك المسلمين ، وكما ينبغي إحراق تلك الكتب الضارة ينبغي أيضا نشر الكتب التي تبين حقيقة هذه النصرانية التي يدعوننا إليها ؛ ليعلم المسلمون أنها أبعد الأديان عن دين المسيح الصحيح ، وعن دين بولس الذي ألفه باسم المسيح ، وأودعه هذه الكتب التي يسمونها العهد الجديد ، وليعلم أهل الصلاح والتقوى والغيرة الدينية من أهل البحرين والكويت وسائر بلاد الخليج وعمان

والعراق أن نشر الكتب التي تشكك الناس في القرآن والإسلام ، ستزداد عاما بعد عام ، فعليهم أن يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم يكون أول عملها مجاهدة هؤلاء الدعاة (المبشرين) بمثل ما يجاهدون المسلمين به ، بأن يكون أول عملها توزيع الكتب التي تبين حقيقة النصرانية الحاضرة مجانا في كل مكان وصلت إليه فتنة هؤلاء الدعاة ، وأهمها هذه الرسائل الجديدة التي ننشرها نحن وكتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهذه أنفع من كتاب الجواب الصحيح وكتاب إظهار الحق وأمثالها من المطولات التي لا يفهمها حق الفهم إلا العلماء ، وليتذكر الشيخ مقبل الذكير والشيخ قاسم بن ثاني أن الأجر في نشر أمثال هذه الكتب والرسائل صار في مثل تلك البلاد أفضل من طبع كتب الفقه والفتاوى والرد على المبتدعة المتقدمين الذين انقرضت مذاهبهم وماتت بدعهم ؛ لأن هذا يتعلق بحفظ أصل العقيدة وكنه الإسلام . ثم يجب على الجمعية أن تغني المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الدخول فيها بكل الوسائل الممكنة . وإلا ندموا حيث لا ينفعهم الندم ، ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام .

ملحق (٦)

العنوان : رحلتنا الهندية العربية (شكر علني لأهل عمان والكويت) .

المصدر : مجلة المنار م ١٦ ، ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) ص ٣٩٦ - ٣٩٩ .

الكاتب : الشيخ محمد رشيد رضا .

« . . . . جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الأثنين وهي إنكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلا فقط ، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان ودخلت في الخليج العربي فصرنا نرى بر فارس عن اليمين وبر العرب عن اليسار . ووقفت بنا فجر الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيه مركب شراعي كبير أرسله إلينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت ، وكان قد علم بأننا نصل إليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كتب إليه من بمبي ومسقط ، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس ، فأقلع بنا والريح لينة والبحر رهو ، ثم قويت الريح قليلا في النهار فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس ، وكان رجال الشيخ مبارك حملوا فيه خروفين كبيرين وكثيرا من الحلوى والمشمش والخيار فأفطرنا وتغدينا فيه (وقد أعجبني جدا طبخ الطاهي الذي كان معهم للخروف بالرز الهندي ، وهو طاه متفنن ، وطبخ للعشاء ألوانا متعددة لئلا نتأخر إلى الليل ، فبقيت للبحارة) وقد استقبلنا أولاد الشيخ مبارك وبعض الوجهاء في زورق صغير خارج الميناء .

أنزلني الشيخ مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الإمارة ، وتولى

مؤانستي ومجالستي في عامة الأوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لأنه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صارت له مشاركة جيدة في جميع العلوم الإسلامية ، وأقمت في الكويت أسبوعا كنت كل يوم ـ ما عدا يوم البريد ـ ألقي فيه خطابا وعظيا في أكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس ، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم ، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والأصول والفقه وغير ذلك ، على أنه لم يتلق عن الأساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر .

ملحق (٧)

العنوان : زيارة السيد محمد رشيد رضا للكويت :

الكاتب : الكابتن و . هـ . إ . شكسبير المعتمد البريطاني لدى الكويت .

المصدر : تقرير الإدارة السنوي للمعتمدية البريطانية في الكويت لعام ١٩١٢ ، ، تقارير الإدارة للخليج (الفارسي) ١٨٧٣ - ١٩٤٧م المجلد السادس ، إصدارات الأرشيف ١٩٨٦ ، بريطانيا .

. . . سيد محمد رشيد صاحب مجلة المنار الدينية المصرية زار الكويت في مايو وكان بعض المشتركين فيها يتطلعون إلى أن يقوم السيد محمد بالإشراف على اختيار المدرسين (للمدرسة المباركية) . . .

السيد محمد رشيد المذكور أعلاه ويرافقه محمد بن سالم وكيل الشيخ مبارك في بومباي وصلا الكويت يوم ٩ مايو ، وفي اليوم التالي ألقى محاضرة حضرها الشيخان جابر وناصر (ابنا الشيخ مبارك) وما يقرب من ١٠٠٠ عربي من مختلف الطبقات . وتحدث في هذه المحاضرة عن الشعائر ونشر الدعوة الإسلامية وفي معرض حديثه حذر مستمعيه من المبشرين والأجانب وما شابههم من الذين يحاولون إيجاد موطئ قدم لهم في الدول الإسلامية .

المحاضرة لم تكن موجهة بشكل واضح ضد الأوربيين أو ضد المسيحيين ولكن فحواها تشير إلى وجوب عدم تشجيع الأجانب .

ورغم أن السيد بقي في الكويت لمدة تزيد عن الشهر فإن محاضراته الباقية ظلت محصورة حول تفسير وشرح القرآن والسنة ، ولعل ذلك تم بإيعاز من الشيخ مبارك الذي كان يحل ضيفا عليه . . أ . هـ .

(المؤلف) : بقي الشيخ محمد رشيد رضا في الكويت لمدة أسبوع واحد مثلما جاء في الملحق رقم (٦) .

ملحق (٨)

العنوان : من أراجيز الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الله المبارك - الإحساء[١] .

الكاتب : محمد بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف المبارك .

المصدر : رسالة شخصية إلى المؤلف .

زار الكويت عام ثلاثين وثلثمائة وألف للهجرة النبوية جدي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله المبارك لقصد الحج ووجد خلافا بين الاخوان في الكويت حول المنار ومجلة المنار بين أهل القبلة وأهل الشرق وجمعهم وأقنعهم بالاجتماع وعدم الخلاف وله رحمه الله أرجوزه منها .

جئنا الكويت قاصدين السفرا	منها إلى نجد وما تيسرا
والخير فيما اختاره إلهنا	ومن رضي تدبيره نال الهنا
كنا عهدناهم على ائتلاف	والان جئناهم على اختلاف
انقسموا قسمين في المحلة	في صاحب المنار والمجلة
وصاحب المنار فيما ظهرا	أبطل للتقليد ثم أنكرا
على اللذين قَلدّوا وقُلّدوا	فليت شعري هل هو المقلد
وليت شعري أنت يا من تبعه	وأعتقد الصواب فيما ابتدعه

قـــبل صـــدور هذه المجلة	بــأي ديــن وبــأي مــلــة
نسـبـتم أنفـسكم للجـهل	ومن مـضى من عــتــرة وأهل
وأنـتم بحـــمـــد ذي المنائح	على سبيل مسـتـقـيم واضح
لكنهـا عـارضـة قـد عـرضت	ثـم تـولـت عـنـهـم وذهـبـت

(١) تشير هذه الأرجوزة إلى جانب من المشهد الثقافي في الكويت وقت تأسيس الجمعية الذي تتـوزعه أراء وإجتـهادات مـختلفـة خارجيـة وداخليـة . ولـم يسبق أن نشـرت هذه الأرجوزة ، بل ولم يتم التعرف على الأثر العلمي المتبادل بين الكويت ومنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (المؤلف) .

المراجع الأساسية

أولا : العربية :

١- أعلام الكويت : فرحان بن فهد الخالد ، سيف مرزوق الشملان ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ ، الكويت .

٢- تاريخ الكويت ، عبد العزيز الرشيد ، دار مكتبة الحياة ، طبعة ١٩٧٨ ، بيروت ، لبنان .

٣- قصة التعليم في الكويت في نصف قرن ، عبد الله آل نوري ، ذات السلاسل ، بدون تاريخ ، الكويت .

٤- خالدون في تاريخ الكويت ، عبد الله النوري ، ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، الكويت .

٥- الكويت قبل النفط (مذكرات س . ستانلي .ج . ميليريا) ، ترجمة وتقديم دكتور محمد غانم الرميحي وباسم سرحان ، دار حوار للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ ، الكويت .

ثانيا الأنجليزية :

1- The Persian Gulf Administration Reports 1874 - 1947, Volume VII, 1912 - 1920, Archive Editions, 1986, U. K.

2- Neglected Arabia: Missionary News and Letters, The Arabian Mission, January - February - March 1915, Volume III No. 92, U. S. A.



فهرس المحتويات

المؤلف في سطور

* بدر ناصر المطيري
* باحث في العمل الخيري والتطوعي
* وكيل وزارة مساعد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت .
* صدر له العديد من الترجمات عن تجارب العمل الخيري في الغرب

